

جامعة علي لونيبي - البليدة 2
كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

محاضرات مقياس

دراسات جيواستراتيجية

مقدمة لطلبة

السنة اولى ماستر علاقات دولية

اعداد

د. سفيان بلماذي

السنة الدراسية 2025/2024

بطاقة تعريفية عن المقياس:

لقد بات مصطلح وموضوع "الجيوستراتيجية" مفهوما مهما يستخدم بشكل مطرد في بيئة المجتمع الأكاديمي بمختلف تخصصاته وفروعه، فضلا عن خطابات الساسة، في الوقت الحالي، يشير مصطلح "الجيوستراتيجية" إلى العلاقة بين الفضاء الجغرافي والاستراتيجية في إشارة إلى تأثير هذه المجالات على العلاقات الدولية وعلى راسها الدراسات الأمنية والاستراتيجية، وبات موضوعا يجمع ويدرس الجمع العوامل الجغرافية والاستراتيجية في تحديد وضعية الدولة تجاه الوحدات السياسية في حدودها المجاورة، أو المنطقة/الأقليم الذي تنتمي إليه، أو الوحدات السياسية الدولية الأخرى ومختلف الفواعل الدولية، وفي كثير من الأحيان، تسعى هذه الفواعل الدولية لتحقيق مصالحها معينة إلى استخدام استراتيجيات وتكتيكات معينة، تتعقد أهميتها حسب الفضاء الجغرافي وأهمية بالنسبة لمصلحة الفواعل.

هدف المقياس:

تهدف المحاضرات المقدمة في علم دراسات الجيوستراتيجية إلى تدريب الطلبة على كفايات التحليل والتفسير للظواهر في تركيبها الجغرافية والاستراتيجية من المنظور الجيوستراتيجي، والتي تستهدف بناء قدرات فكرية وإدراك لتقنيات قياس محددات قوة وضعف الوحدات السياسية من الداخل والخارج، وقياس الفرص والتهديدات المحتملة على مختلف الأصعدة والمستويات السياسية، الاقتصادية، الأمنية، الثقافية وغيرها من المجالات، ما يساعد على بناء تفكير جيوسياسي متميز يساعد على فهم التحولات العالمية وتفكيكها، وبناء خطط مستقبلية قوية قائمة على استشراف دقيق.

إن التحليل الجيوستراتيجي للأحداث والوقائع المتعددة الأبعاد، المحلية والإقليمية والعالمية القائمة على المعطى الجغرافي بالدرجة الأولى، لما له من ارتباط وثيق على السلوك الاجتماعي والسياسي المراد دراسته وتحليله في إقليم معين، في حين إن التحليل الجيوستراتيجي لا يقتصر على أقاليم محددة، بل على تركيبة من المستويات (النظام المحلي، الأنظمة الفرعية، الأنظمة عبر الجبهوية، الأنظمة فوق قومية) وتحليل مختلف العوامل والمحددات المؤثرة في سلوك الدول وتطورها.



الاهداف العامة:

ايصال الطالب الى مستوى إدراك ووعي يمكنه من فهم الظواهر والتفاعلات في البيئة الاقليمية والدولية، ويمنحه القدرة على استخدام اسس التحليل الجيواستراتيجي جنباً الى جنب والتحليل الجيواستراتيجي لاستشراف ولتفسير وفهم الاحداث والوضعيات الدولية والعالمية.

الاهداف الخاصة:

1- يسعى محتوى المقياس من خلال المحاضرات المقدمة الى تعريف الطالب بالمفاهيم الاساسية لعلم الجيواستراتيجيا، انطلاقاً بدراسة المفاهيم والافكار التقليدية وصولاً الى المفاهيم والافكار الحديثة.

2- إدراك الاطر المعرفية والقواعد المرتبطة بعلم الجيواستراتيجيا وفق منحنى تصاعدي، بالتطرق الى تفكيك ابسط القضايا الى اعقدها.

3- التطرق الى نظريات مدارس الجغرافيا السياسية وكيفيات تحليلها لظواهر العلاقات الدولية لتمكين الطاب من اكتساب قدرة تصورية للأحداث من اجل الخروج بتحليلات مختلفة الابعاد.

4- العمل على وضع دراسات تطبيقية تطرح من خلالها قضايا جيواستراتيجية عالمية، والسعي الى التركيز على القضايا اقليمية كدراسة حالة.

المكتسبات القبلية:

يمكن للطالب فهم مقياس الدراسات الجيواستراتيجية من منطلق ادراكاته السابقة لجملة المقاييس المدرسة في التخصص، كمدخل العلاقات الدولية و نظريات العلاقات الدولية وتاريخ الفكر السياسي والاقتصاد السياسي وخاصة مقياس الجغرافيا السياسية.

مدخل مفاهيمي للجيوستراتيجية:

لقد رافق التطور العلمي والمعرفي لحقل العلوم السياسية بروز العديد من العلوم والأطر المعرفية المفسرة للوقائع والأحداث الدولية سواء في إطارها التعاوني أو التنافسي، والمعلوم أن هناك قواعد وقوانين تفسيرية لكل ظاهرة سياسية في الطبيعة، ومهمة الدارسين هنا هي البحث عن هذه القوانين، كما تأثر الفكر الجيوستراتيجي بالتغيرات التي طرأت على مناهج وطرق واساليب البحث في منظومة العلوم الأكاديمية عموماً والعلوم السياسية والعسكرية على وجه الخصوص، ومن هذا المنطلق، فقد أسهم العديد من المفكرين في اخراج علم جديد في حقل العلاقات الدولية ساهم بقوة في تحليل الأحداث الدولية وفق قانون "الجغرافيا" سواء من البعد التطبيقي أو النظري، بمساهمته في رسم وصياغة التوجهات الداخلية والخارجية للدول، ضمن علم الجغرافيا السياسية، ألا وهو علم الدراسات الجيوستراتيجية.

تتعرض الظواهر السياسية باختلاف تمثيلاتها، سواء في وضعية الدولة كوحدة سياسية، أو في طبيعة العلاقات بين الدول في البيئة العالمية، أو في طبيعة المشاكل السياسية التي تمس الدولة على صعيدها المحلي، أو الاضرار الناجمة عنها على المستوى الاقليمي، أو انتشار لقوة تأثيرها الى المستوى العالمي، ما يستوجب النظر بإمعان وتحليل الظاهرة بدقة في لوحة الجغرافيا السياسية العالمية، الذي يجب على الدارس للجيوستراتيجية ان يتوقع ويتحرى مثل هذه التغيرات وتأثيرها من مختلف الابعاد.

يظهر اهمية علم الجيوستراتيجية في كون هذا الحقل من العلوم استطاع ان يفسر ويحلل بدقة اغلب الوقائع والاحداث والظواهر المرتبطة بفضاء جغرافي معين، ومن خلال المحاضرات المنتقاة، سيتم تناول مجموعة من المرتكزات والاطار المعرفية التي يجب على الدارس في العلوم السياسية بشكل عام، والمتخصص في علم الحيوستراتيجية التي يجب الاحاطة بها، كمنطلقات التفكير والتخطيط الجيوستراتيجي من حيث النشأة والتطور من مختلف الابعاد، ومن ثم الاحاطة بالمدارس الكبرى المختصة بعلم الجيوستراتيجية ودراسة اهم العلماء والمنظرين والنظريات والطروحات في هذا الشأن، اضافة الى مناقشة بعض الظواهر العالمية ذات الصلة من باب محاولة الاسقاط النظري المدروس على الواقع المعيش، لفتح افاق التفكير والتحليل والفهم الصحيح لها عن الطالب حتى يتمكن من تطوير قدراته التحليلية والملاحظة الدقيقة.

في اللغة الأكاديمية المعاصرة، لم يعد مصطلح "الاستراتيجية" صفة تقتصر على الشؤون العسكرية من المنظور التقليدي فحسب، أو تفسير التفاعل بين الدول على المستوى العالمي، بل أكثر من ذلك، وعليه، فقد أصبح مفهوم هذا المصطلح من المفردات المنتشرة حالياً في العديد من مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتنظيمية، بما في ذلك المجال العسكري.

من جهة أخرى، يشهد التفكير الجيواستراتيجي عودة قوية في أوقات تضائل الموارد وارتفاع مستوى انعدام الأمن والاستقرار، مما يثير ما تم فهمه من المبادئ والمفاهيم الجيواستراتيجية والاستراتيجية الجغرافية (الجيواستراتيجي) في القرن الحادي والعشرين وكيف تنعكس على الممارسة العملية. في الماضي، كان التركيز في المقام الأول يتمحور حول السيطرة على الأراضي، واليوم يسيطر نهج جيواستراتيجي متكامل من عوامل الفضاء والأرض والبحر والوقت والموارد والديموغرافيا. ولقد أصبح العالم قرية صغيرة وكثر عدد السكان، وبدأ يشعر الاستراتيجيون وأصحاب النفوذ والهيمنة بشح الموارد كالمياه والثروات الطبيعية، مما يدفع لمنافسات واحتكاكات خارج حدود الدول طمعا في التوسع المباشر وغير المباشر.

كما أن فترة ما بعد الحرب الباردة وفترة أحادية القطبية وفرت مناخا لتغيرات جيواستراتيجية كبيرة جدا، فقد اختفت دولة كاملة مثل يوغسلافيا عام 1991 ولم تعد موجودة على الخريطة، ونشأت دول جديدة بدلا عنها وهي دولة التشيك ودولة سلوفينيا، 1997 وكل منهما بحدود - وصربيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك في فترة 1991 جديدة مستقلة وبعلم وطني مختلف. وقبل ذلك اختفى الاتحاد السوفيتي الذي كان ثاني قوة عظمى في العالم وتلاشت قوته الكبرى في سابقة من ذات العيار الثقيل جدا في تاريخنا المعاصر، وذلك في 26 ديسمبر 1991، وتشرذمت هذه الدولة العظمى (الاتحاد السوفيتي) إلى دول مستقلة. كما شهد العصر الحديث ولادة دولة جديدة لم تكن موجودة على الخارطة كدولة جنوب السودان التي ولدت من رحم جمهورية السودان عام 2011، كما شهد من قبل ولادة دولة تيمور الشرقية عام 2002 كأول دولة ذات سيادة تتشكل في القرن الواحد والعشرين. كما شهد القرن انتهاء وسقوط دولة المانيا الشرقية (جمهورية ألمانيا الديمقراطية) وتشكيل دولة جديدة توحد المانيا الغربية (جمهورية ألمانيا الاتحادية) (مع ألمانيا الشرقية) جمهورية ألمانيا الديمقراطية (تحت اسم ألمانيا الاتحادية).

الاستراتيجية الجغرافية:

نجد ان تطور الدراسات العسكرية قد اظهر اهميته البالغة عبر الزمن. من خلال التطورات التي مست هياكله وهيكلته والادوار التي لعبتها القوات المسلحة، فالحاجة إلى بناء قوات عسكرية مسلحة قوية ظاهرة تاريخية طبيعية، فقد اضطرت مختلف الإمبراطوريات خلال العصور إلى بناء قوات مسلحة قوية لتحقيق هدفها المتمثل في توسيع إمبراطورياتها من خلال التوسع والاستيلاء على الأراضي. اما اليوم، فيتم تحقيق ذلك من خلال استراتيجيات مختلفة ومعقدة، من خلال زيادة القدرة الاقتصادية وتعزيز الدفاع، كما تدخل الدول في تحالفات مع دول أخرى كجزء من استراتيجيتها لتحقيق أهدافها، والسؤال هنا كيف كان ذلك ممكنا حينها؟ ما هي العوامل التي تساعد على الحفاظ على هذه القوة؟

لا يمكن الإجابة على هذه الأسئلة دون فهم أهمية الاسس العلمية للجيواستراتيجية والمحددات الداخلة في تشكيل عوامل القوة فيها. ومن المهم الآن أن نتقل إلى فهم معنى الجيواستراتيجية وكيفية تحقيق الأهداف الجيواستراتيجية.

أهداف:

- بعد تفصيل هذا الدرس وشرحه، سيكون الطالب قادرا على أن:
- فهم معنى الجغرافيا الاستراتيجية.
 - تمكين ادراكاته السابقة المتعلقة بالجغرافيا السياسية.
 - معرفة الادوات العلمية اللازمة للتحليل الجيواستراتيجي والجيواستراتيجي.
 - معرفة كيفية تحديد إمكانات القوة الوطنية.
 - معرفة كيفية تحديد الفرص والتهديدات المحتملة.
 - القدرة على وصف الأنشطة والعوامل الجيواستراتيجية الحاكمة في التخطيط الجيواستراتيجي.

الجغرافيا والإستراتيجية الجيواستراتيجية:

قبل مناقشة مفهوم الجيواستراتيجية والقضايا المتعلقة بها في المنطقة، هناك ثلاث مصطلحات تتزاحم لدى القارئ: الجغرافيا، الجيواستراتيجية، الجيواستراتيجي مما يستوجب تعريفها للتمييز

بينها وما هو المقصود بها. وبما أن الأكاديمية مليئة بالأوراق حول هذه المصطلحات فسيتم التعرض لها بطريقة مباشرة مركزة.

الجغرافيا:

يعود تاريخ الجغرافيا منذ القدم إلى الحضارات العريقة مثل الحضارة الإغريقية، والحضارة المصرية، والحضارة بابلية والحضارة الآشورية، وترجع كلمة جغرافيا في الأصل إلى الكلمة الإغريقية: Geographica، وهي كلمة مكونة من قطاعين هناك Geo: والتي تعني الأرض،: Graphica والتي تعني الوصف أو التصوير، بالتالي فإن علم الجغرافيا يعني علم وصف الأرض. كما يمكن تعريفه الجغرافيا بالعلم الذي يعنى بدراسة مدى وجود الإنسان في البيئة المحيطة، والعكس، وذلك لأن التأثير متبادل، كما أنها دراسة للفضاء المكاني، فتشمل على سطح الأرض، والغلاف الجوي والفضاء الخارجي، والبحار والبيئات الحيوية المختلفة، وتقوم بدراسة الإنسان ونشاطاته، وأنماط توزيع السكان على سطح الأرض، وأسباب هذا التوزيع ومظاهره، بالإضافة إلى مدى توفر الموارد الطبيعية اللازمة لجذب انتباهها، واشتراكها، ودراسة الغير، فالجغرافيا علم يدرس مختلف المظاهر الجغرافية المختلفة مثل:

- المورفولوجيا.
- جغرافيا الموارد الطبيعية.
- الجغرافيا البشرية.
- الجغرافيا الاقتصادي.
- الجغرافية العسكرية.
- الجغرافيا السياسية.
- الجغرافيا الثقافية.
- جغرافيا علم الأحياء.
- الجغرافيا الفلكية.

وتظهر أهمية الجغرافيا في عملها على وصف الظواهر الطبيعية وصفا عميقا، ويعتمد علم الجغرافيا على التحليل والقياس والربط في وصف سطح الأرض وما عليه، القدرة على محاكاة

مختلف أنواع العلوم. تلعب دوراً مهماً في استثمار المواد الطبيعية. تعتبر حلقة وصل بين مختلف أنواع العلوم. تعمق الإيمان في نفس الإنسان من خلال دراسة علم الأرض والكون.

الجيواستراتيجية:

مصطلح يشمل السياسة الداخلية والخارجية للدولة وما يتعلق بها من مجموعة محددات التي تدرس نقاد التأثير والتأثر الخاصة بكل ما يتعلق بقضايا السيادة الوطنية ومعرفة العوامل التي تزيد من قوة الدولة، ويمكن القول بأنها سياسة القوة المكانية. كما هي توجه السياسة الخارجية للدولة ما. وهي تحدد أين تكثف هذه الدولة جهودها سواء من خلال تخطيط القوة العسكرية أو توجيه النشاطات الدبلوماسية أو كليهما نتيجة لتطور معتبر في العوامل الجغرافية أو العوامل الجيواستراتيجية أو لأسباب (أيدولوجية أو لمصالح مجموعات معينة، أو ببساطة لرغبات قادتها).

إن التغيرات في المكونات الجغرافية بطيئة إلى حد كبير بينما التغيرات الجيواستراتيجية أسرع منها، في حين أن التغيرات في القضايا الجيواستراتيجية هي الأشد سرعة، وقد تحدث في أسابيع أو أشهر. وهناك علاقة تبادلية قوية بين التغيرات الجيواستراتيجية والجيواستراتيجية، فالتغيرات الجيواستراتيجية لها تأثير مباشر وغير مباشر على المجال الجيواستراتيجي، وقد تدفع باتجاه إحداث تغيرات جيواستراتيجية، ومن جهة أخرى فالتغيرات الجيواستراتيجية لها تأثير مباشر على القضايا الجيواستراتيجية، وقد تمهد الطريق لتغيرات داخلية جوهرية في مكونات الدول. وبالتالي فإن عدم الإدراك الجيد للتغيرات الجيواستراتيجية أو التقليل من شأنها أو الاستهانة بها قد يؤدي إلى عواقب مفاجئة وغير متوقعة. ومما يجدر الانتباه له أن القوى العالمية تراقب وتتفحص وتمسح بشكل مستمر الأحداث والتغيرات الجيواستراتيجية في دول المنطقة وذلك لتكيف مع هذه التغيرات ولتتعامل معها بطريقة مناسبة قبل أن تؤثر على مصالحها في المنطقة.

الاستراتيجية مقابل الجيواستراتيجية:

كما هو معلوم هناك ثلاثة مستويات في التخطيط: المستوى الاستراتيجي والعملياتي والتكتيكي. ويعتبر المستوى الاستراتيجي هو الأصل الذي يشتق منه المستوى العملياتي ومن ثم التكتيكي، وفي جميع الأحوال لا تنجح استراتيجية ما إلا إذا تكاملت المستويات الثلاثة معاً، أي تناغم المستوى التكتيكي مع العملياتي ليؤدي إلى انجاز الاستراتيجية وتحقيق الأهداف المطلوبة،

ولعل عدم التناغم والتكامل بين المستويات الثلاثة لأية علة كان هو من الأسباب الرئيسة في فشل الكثير من الاستراتيجيات. وعندما يتم تصميم الاستراتيجية لدولة ما فإنها تسمى الاستراتيجية الكبرى (الكلية) وتتجه باتجاهين رئيسيين: اتجاه نحو الداخل بمعنى تسخير الإمكانيات الداخلية والمعطيات الجغرافية (المكانية) لتحقيق الأهداف المرجوة ورسم الطريق للوصول إلى هذه الأهداف. واتجاه ثان نحو الخارج بمعنى التعاطي مع المعطيات الخارجية بكل مكوناتها الجغرافية المكانية وغيرها لتحقيق الأهداف الوطنية الخارجية للدولة أو حماية السيادة أو فرض النفوذ وطريقة الوصول لهذه الأهداف.

يقصد في المفهوم العام بالاستراتيجية هنا استراتيجية الدولة التي يمكن تعريفها حسب يارجر بأن الاستراتيجية هي فن وعلم تطوير واستخدام القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والعسكرية للدولة وفقا لتوجهات السياسة لخلق مؤثرات تحمي المصالح الوطنية أو تعززها ضد مصالح وطنية لدول أو لاعبين آخرين أو ظروف أخرى، وبالتالي فإن الاستراتيجية هي الموجهة للدولة، وتسعى إلى تعظيم النتائج الإيجابية وتقليل النتائج السلبية أثناء الانتقال إلى المستقبل المنشود عبر البيئات المعقدة وسريعة التغير، أي أن:

- الاستراتيجية الجيدة تعمل على التأثير وتشكيل البيئة المستقبلية بدلا من مجرد الرد عليها.
- الاستراتيجية استباقية كما أنها تحت توجيه الهدف السياسي.
- في طبيعتها ذات نظرة شمولية وتتطلب دراسة شاملة للبيئات الداخلية والخارجية.
- أي استراتيجية تسبب قلقا سواء للاستراتيجي نفسه أو للآخرين إذ أن المستقبل يبقى مجهولا ويصعب التنبؤ بمجريات الأحداث.
- الاستراتيجية تقوم على ما يجب إنجازه ولماذا يجب إنجازه؟ فالاستراتيجية لا يمكن أن تتشكل في فراغ فكري أو سياسي.
- الاستراتيجية بأصلها مشروع انساني وليست فقط عوامل موضوعية بل تنطوي على مشاعر إنسانية وقيم ومعتقدات وقليل منها قابل للقياس الكمي.
- الاحتكاك هو جزء لا يتجزأ من الاستراتيجية (والاحتكاك هو الفرق بين الاستراتيجية المثالية المرغوبة وتلك التي تم تنفيذها فعليا على الأرض).

- الاستراتيجية تركز على الأسباب الجذرية والمقاصد لذا فهي مرنة ومتكيفة دون أن تنحرف عن مقصدها.
- الاستراتيجية هرمية حيث تتوالى من المستوى الوطني الأعلى إلى المستوى الأدنى.
- الاستراتيجية ترتبط مع الزمن بعلاقة تفاعلية فالماضي مهم جدا ليكون جسرا للربط مع المستقبل، وزمن تنفيذها مهم جدا.
- الكفاءة في الاستراتيجية تتبع الفاعلية إذ أن الأصل في الاستراتيجية أن تحدث أثرا استراتيجيا وتحقق المقصد وبالتالي فإن الفاعلية بمعنى تحقيق الأهداف هي الأصل وتتبعها الكفاءة بمعنى الاقتصاد في الوقت والجهد والمال.
- الاستراتيجية أن توجد علاقة مناسبة وتوازن بين الأهداف المطلوبة وطرق تحقيق الأهداف والموارد المتوفرة في جميع مستويات الاستراتيجية.

الاستراتيجية الجغرافية:

إن مصطلح الإستراتيجية الجغرافية هو مزيج من كلمتي الجغرافيا والاستراتيجية. يتناول موضوع الجغرافيا وصف الأرض من حيث خصائصها الطبيعية، وتوزيع السكان، واستخدام الأراضي، والموارد الاقتصادية للبلد وما إلى ذلك. ومن ناحية أخرى، فإن الاستراتيجية هي خطة عمل محسوبة لتحقيق أهداف الدولة. فان كانت الجغرافيا تعتبر وصف الأرض من حيث الخصائص الطبيعية، وتوزيع السكان، واستخدام الأراضي، وتوافر الموارد الاستراتيجية: خطة عمل مدروسة لتحقيق أهداف الدولة. فهذا يعني أنها من المحددات الأساسية لبناء الخطط الاستراتيجية للدولة. وعليه ستتعلم في هذا القسم كيف تكون حالة التأثير والتأثر الجمع بين الجغرافيا والاستراتيجية دورًا في تطوير الاستراتيجيات الدفاعية للدول.

من المهم أن نفهم، والإجابة على السؤال، ما هي العوامل الجغرافية المسؤولة عن تحديد الاستراتيجية. ولكن قبل القيام بذلك من المهم أن نعرف أن هناك العديد من المجالات الفرعية للجغرافيا مثل الجغرافيا البشرية التي تتناول الناس ومجتمعهم، والجغرافيا الاقتصادية التي تتناول موقع وتوزيع الأنشطة الاقتصادية وغيرها. ولكن ما يهمنا هنا هو الجانب الاستراتيجي للجغرافيا والذي يسمى بالجيواستراتيجية.

يتعامل هذا المجال الفرعي من الجغرافيا مع السيطرة والوصول إلى المناطق أو الأقاليم الجغرافية التي تؤثر على أمن ورفاهية الدولة. هناك العديد من العوامل الجغرافية التي تؤثر على الإستراتيجية مثل الأرض والديموغرافيا والموارد الطبيعية. دعونا نناقش بعض منهم أدناه.

مفهوم الأبعاد الأربعة التي تتحرك فيها الجيوستراتيجيا:

يتم تعريف الأرض من حيث الجغرافيا الطبيعية أو علم وظائف الأعضاء. إن حيازة الأراضي أو الأراضي الشاسعة تحدد قوة أي بلد. تختلف مساحة الأراضي في كل دولة، وهي غير موزعة بشكل موحد. قد يكون لكل دولة ميزات أرض مختلفة مثل التلال والجبال والسهول والصحاري والأنهار والغابات.

لكن، لم تعد الجيوستراتيجي كما كانت في الماضي سيطرة على الأرض ولكن أخذت تتحرك ضمن أبعاد جديدة منها: الأرض والبحر والفضاء والزمن. فالأرض والبحر والسيطرة عليهما مفهومة من منذ زمن بعيد، ثم جاءت السيطرة على الفضاء وما تبع ذلك من فكرة حرب النجوم التي أطلقت في عهد الرئيس الأمريكي ريغان للسيطرة على الفضاء وما سبق ذلك من رحلات للفضاء وإطلاق الأقمار الصناعية التي تساعد بشكل كبير في السيطرة ومراقبة الأرض والبحار لفرض السيطرة المعلوماتية والرقابية والهيمنة التكنولوجية بما في ذلك القدرة على التأثير على نتائج الانتخابات، ثم تطور الأمر في بعد جديد ألا وهو بعد الزمن حيث أصبح السيطرة على الزمن والحصول على الشيء قبل الغير، مجالا لصراع جيواستراتيجي جديد، ويتمثل ذلك بوضوح في الصراع على فكرة G5 التي في ظاهرها صراع تكنولوجي ولكن في حقيقتها صراع على الزمن بسبب السرعة الهائلة التي تتمتع بها هذه التكنولوجيا والتي تؤهل من يملكها ليسيّط على المعلومات العالمية. وبالتالي أصبحت الجيوستراتيجي ومفاهيمها (مبادئها) معقدة ومتداخلة وأضحت تتطلب تكامل كل الأبعاد: الأرض والبحر والفضاء والزمن لتحقيق أهدافها.

وبالرغم من أن أرض الدولة وموقعها ومواردها لها تأثير كبير على سلوك الدول وسياستها. فقد تجد دولة متواضعة من حيث القوة تجد نفسها في خضم المحاور الجيوستراتيجية بسبب موقعها الجغرافي وما ينتج عنه من عواقب بسبب اللاعبين الجيوستراتيجيون.

إلا أن هذا البعد الجغرافي لم يعد حالياً حاسماً وحتمياً كما كان في السابق، بمعنى أن نفترض أن دولة ما ليس لديها خيارات سياسية بسبب موقعها الجغرافي، بل أضحي من الممكن أن يكون لدولة ما خيارات سياسية بالرغم من محددات موقعها الجغرافي. فللموقع الجغرافي قوة جيواستراتيجية لبعض الدول، فمضيق هرمز على سبيل المثال يعطي إيران قوة تدعم موقفها في الحراك الجيواستراتيجي، وكذلك قناة السويس في مصر، والمحيطان الهادي والأطلسي اللذان يحيطان بالولايات المتحدة الأمريكية يوفران حماية طبيعية لها، وكذلك سلاسل الجبال التي تعطي منعة لبعض الدول.

مكونات الأبعاد الأربعة:

لكل من الأبعاد الأربعة: الأرض، البحر، الفضاء، الزمن مكونات خاصة بها تشكل بنيتها الداخلية.

المكونات	البعد
- التضاريس الجغرافية مثل الجبال والسهول والوديان والبحار - طرق المواصلات البرية وسكك الحديد - خطوط الملاحة الجوية - الحدود السياسية والدول المجاورة - الثروات الطبيعية والموارد - المناخ - الموقع - الشكل الجغرافي	الأرض
- الموانئ التجارية - طرق المواصلات البحرية - الممرات المائية - الثروات البحرية	البحر
- تكنولوجيا الفضاء - الأقمار الصناعية - تدفق المعلومات - الهجمات السيبرانية	الفضاء
- تطور التكنولوجيا - التطورات والتحولت الديمغرافية - معدلات نفاد الثروات الطبيعية	الزمن

مفهوم العوامل الجيواستراتيجية الحاكمة في التخطيط الجيواستراتيجي:

إن الاستراتيجيين المعنيين بالتخطيط الجيواستراتيجي لا يسعهم تشكيل تصوراتهم بدون اعتبار مجموعة من العوامل الجيواستراتيجية الحاكمة ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

1. الموارد الطبيعية والمواد الخام وتوافرها على المدى البعيد.
2. التغيرات الديمغرافية وتزداد أهمية هذا العامل في العصر الحديث نتيجة الهجرة واللجوء واستقطاب العمالة الوافدة لأغراض النهضة وانفتاح أسواق العمل والعمولة وقوانينها ومستلزماتها.
3. احتياطات الطاقة سواء من النفط أو الغاز أو الكهرباء أو الطاقة الشمسية أو الرياح ومدى توفرها وموارد استيرادها.
4. الأمن الغذائي سواء الزراعي أو ال مصنع وطبيعة الأرض الزراعية والموقع الجغرافي المناسب والعلاقة مع الدول المصدرة للمواد الغذائية.

تمثل الجغرافيا العسكرية عمقاً أساسياً لكل التحركات العسكرية وسير العمليات الحربية، إذ أنه من المستحيل فصلاً لعمليات العسكرية عن ظروف البيئة الجغرافية حيث تمثل الأرض بواقعها الطبيعي والبشري مسرحاً للعمليات العسكرية. لذا تهتم الجغرافيا العسكرية بدراسة العلاقة بين البيئة الجغرافية من جهة وبين الأنشطة العسكرية من جهة أخرى.

وهناك ارتباط وثيق بين الجغرافيا العسكرية والخطط الإستراتيجية الوطنية. إذ تبحث الأولى عن الخطوط العريضة، التي تحدد اتجاه القوى، والأهداف، والمصالح القومية، وتحديد أماكن النزاع الفعلي أو المحتملة، والتنبؤ بوقت ومكان الأحداث، وتهتم الثانية بإعداد، واستخدام القوة السياسية والاقتصادية للدولة، إلى جانب قوتها المسلحة في السلم والحرب لتأمين الأهداف الوطنية. لذا يصعب الفصل بينهما فكل واحدة منهما تعتمد على الأخرى، تتأثر بها وتؤثر عليها، كذلك يصعب فصل الإستراتيجية العسكرية عن الشؤون السياسية، والمدنية، والاقتصادية، وذلك لأن الحرب لا تقتصر على معارك الجيوش في الميدان، بل تشمل جميع مظاهر الحياة كذلك.

الجغرافيا العسكرية عمليا:

يطلق على تطبيق الجغرافيا العسكرية على المستوى العالمي أو الاستراتيجي اسم جيواستراتيجية، ويشمل الاعتبارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي تؤدي إلى فهم أو مدخل كامل لتشكل الجغرافيا العسكرية جانبا من عملية التخطيط التي يقوم بها القائد. وتبدأ عملية التخطيط عند استلام أو تولي مهمة جديدة من القيادات الأعلى، وبعد أن يقوم هذا القائد بتحليل ودراسة المهمة، تكون الخطوة التالية إعداد تقدير موقف، ويشمل تقدير الموقف دراسة المهمة والقوات الصديقة والقوات المعادية وتحليل جغرافي عسكري لخصائص منطقة العمليات. وتوضع وتقيم بدائل المسالك المفتوحة لإنجاز المهمة. ويقرر القائد بناء على المسلك المفتوح ويصدر الأوامر. وتعتبر نواتج التخطيط مهام تسند للوحدات الأدنى، وباستلام هذه المهام الجديدة من قبل الوحدات الأدنى تبدأ دورة جديدة من التخطيط العسكري بما في ذلك تقديرات إضافية للموقف والتحليل الجغرافي لمناطق العمليات الجديدة.

لذا فإن الجغرافيا العسكرية تستخدم آخر التكنولوجيا الحديثة والأساليب¹، حيث تستخدم الأقمار الصناعية في الجيوديزيا والكارتوغرافيا، كما يستخدم التصوير الفضائي في الكارتوغرافيا وتحليل الأرض وتحليل المسرح. وتستخدم أجهزة الحاسب الآلي في إجراء حسابات عوامل الوقت والمكان ومواقع الأهداف وتكملة وإدارة وتحليل المعلومات الجغرافية. وتعتبر الأساليب الحديثة في الرياضيات والإحصاء والتحليل المكاني تطبيقا لمشاكل الجغرافيا العسكرية.

مشكلات الجغرافيا العسكرية :

هناك من يرى بأن الجغرافيا العسكرية ليست ذات أهمية كبيرة في العمليات العسكرية وأن في غالبيتها تخدم الجيوش النظامية المالكة لأسلحة متطورة، وعلى الرغم من صحة بعض ما يقال أو يكتب إلا أنه لا يمكن أن تكون هناك مجموعات قتالية محترفة ولا تعرف كيف تفكر الجيوش النظامية، وهذا يرجع إلى النقص العام في معرفة الجغرافيا العسكرية ووظائفها. وتوظف جميع القوات العسكرية مختلف عناصر الجغرافيا العسكرية، لكن معظمها لا يدرك أنه يستخدم

¹ Samir Dhiab Sbitan: Military Geography, Al-Janadriyah Publishing and Distribution, first edition, Jordan, 2012. p. 69.

الجغرافيا العسكرية. فنادرًا ما يتم تدريس الجغرافيا العسكرية كموضوع موحد. ويدرس تحليل الأرض وتحليل المناطق الاستراتيجية عناصر في المعاهد العسكرية كقسم من مساقات التعبئة أو الاستخبارات، وتدرس الجيوبولتيك في كليات الحرب. على أي حال اختفى التقدير الأساسي للجغرافيا العسكرية كموضوع موحد بإجراء التحليل المكاني.

على الرغم من أن الجغرافيا العسكرية في الماضي أثر جوهري على القتال العسكري. ولعب شتاء روسيا دورًا في هزيمة نابليون وهتلر. وساعدت أشكال سطح الأرض "هضاب الكويستا" التي يمكن الدفاع عنها، والواقعة شمال باريس على إيقاف الغزو الألماني عام 1614. وأوقفت الأسيجة النباتية من تقدم الحلفاء في النورماندي، واعترض اتساع مساحة الصين المحاولات اليابانية للسيطرة العسكرية في الثلاثينات من القرن العشرين. ومكنت طبيعة منطقة الخليج التكنولوجيا من سحق الجيش العراقي بوقت قصير جدًا. ومن المنطقي أن يكون للجغرافيا العسكرية أثر جوهري على القتال مستقبلاً.

البحث الجيوعسكري في التخطيط العسكري:

أصبحت القدرة العسكرية للدول الذراع المركزي لإدارة الصراع في العالم، ومع تطور أساليب ووسائل ومفاهيم الحرب المعاصرة ذات ديناميكية مضطربة المتغيرات المختلفة، وأضحت لا تستغني عن البحث الجيوعسكري في التخطيط للحرب، وتسخر القدرة عبر مفاصل القوة العسكرية المختلفة رفع سياسية ذات حقائق طبوغرافية وديموغرافية تدخل في متن البحث الجيوعسكري للحرب وأبرزها الجغرافيا العسكرية، "Military Geography" وتعد الجيواستراتيجية العسكرية عنصراً أساسياً في بحث ودراسة المهام والغايات الإستراتيجية للحرب، وكذلك أعداد مسارح الحركات الحربية وطبيعة التحركات للقطعات العسكرية، ومن خلالها يتم متابعة سير العمليات الحربية، ويمكن وصفها بـ"استخدام القدرة العسكرية في الحدود الجغرافية المختلفة.

بذلك، لا يمكن التخطيط للعمليات العسكرية دون دراسة مفصلة للطبوغرافية الميدانية والبيئة الجغرافية لمسارح العمليات، والتنوع الديموغرافي والجو والفضاء.. الخ، ولأن طبيعة الأرض ومميزاتها البشرية والمادية ومقوماتها هي التي تحدد شكل وطبيعة مسرح العمليات العسكرية، وما هي التهيئة التي تتناسب مع الغاية الحربية، حيث تركز الجيواستراتيجية العسكرية

على دراسة العلاقة بين الطبوغرافيا والتضاريس والجو والفضاء والموائمة الديموغرافية من جهة ونوع الفعاليات العسكرية وحجم التأثير المطلوب من جهة أخرى، مع مراعاة التحديدات والغايات السياسية في الإستراتيجية الشاملة/العليا والصادرة على شكل أوامر من قبل القيادة العامة للقوات المسلحة والتي تعد الذراع الطويل للسياسة، وبنفس الوقت تقوم الإرادة السياسية بإسناد وتعزيز وتطوير القدرة العسكرية وتهيئة الدولة للحرب بغية تحقيق غاياتها السياسية ضمن القدرات والإمكانات المتيسرة، مع الأخذ بنظر الاعتبار فترة الأعداد والتدريب، ولذا من الصعب الفصل بين العناصر الأساسية في البحث الجيواستراتيجي العسكري والجيواستراتيجي الاستراتيجي السياسي (لكثرة المشتركات الأساسية، لأن كلاهما يضع محددات العمل الحربي والغايات السياسية الأساسية من الحرب، وكيفية تحقيق النجاح لتحقيق الأهداف الإستراتيجية.

غالباً ما تحدد الجغرافيا العسكرية Military Geography شكل ونوع الإستراتيجية القومية أو الوطنية أو ما يطلق عليه البيئة الإستراتيجية للأمن القومي الوطني، وعلى ضوء بحثها تضع الخطوط العريضة والاتجاهات، والأهداف، والمصالح القومية، وتحدد أماكن النزاع الفعلي أو الوشيك أو المحتملة، مع بيان الإحساس بالخطر، وتحديد الاستنتاجات بوقت ومكان الحرب أو النزاع، وشكل المسالك وعدد المقترحات، والاتجاهات والتجمعات الحربية، وتحدد أسبقية استخدام القوة الناعمة أم الصلبة للدولة، وحسب أسبقية التهديد المحتمل، ويعد البحث لتطويع حقائق الجغرافية العسكرية مع الغايات العسكرية بغية أعداد الإستراتيجية العسكرية، كونها إحدى الاستراتيجيات التخصصية في الإستراتيجية الشاملة/لمصال الدول العالية، ونظراً لمفاهيم وقيم الحروب المعاصرة أضحت الحرب لا تقتصر على معارك الجيوش ومسرح العمليات فحسب، بل تشمل جميع عناصر الجيواستراتيجية العسكرية من الطبوغرافيا والتضاريس والجو والفضاء و الديموغرافية وكذلك البنى التحتية والمنشآت الخدمية بالكامل وما يطلق عليه أمريكياً-المفاصل اللينة التي تستهدفها عند اشتداد الضغط العملياتي على قواتها.

أهمية الجغرافيا العسكرية كخلفية علمية للجيواستراتيجية:

يتمتع المجال الجغرافي الأوروبي بمكانة هامة في مجتمعه، ليس لأن كلمة "جغرافي" توقع نوع من الرهبة في عقول السكان بل لأن الثقافة العامة لهؤلاء السكان ساعدتهم على إدراك دور هذا الجغرافي في صياغة المكان وبالتالي في نشؤ وتطور عظمة الأمة، وكذلك لإدراكهم في نفس

الوقت، بأن الجغرافي كان له الدور الأكبر في توثيق مواقع وحركات جيوشهم الاستعمارية وتوثيقها خرائطيا بدقة عالية، متتالية مع الزمن. أي أنهم يستشعرون من وراء الجغرافي تلك المهنة التي هيكلت ماضيهم البعيد والقريب، وساهمت في غناء أوروبا الاستعمارية وأدت إلى تكوين عظمتها العسكرية والاقتصادية حتى منتصف القرن العشرين. والجغرافي الأوروبي بعد انقضاء الفترات الاستعمارية، شكل أصول الحضارة التي يحمل سطح الأرض أشكال بصماتها وتعكس باع الجغرافي الذي مهد هذا السطح، كونه مهندسا للمجال، لتحضير القاعدة التي سمحت لتلك المجتمعات بتطوير مرافق اقتصادهم الزراعي والصناعي والخدمي.

فالجغرافيا ليست هدفا بحد ذاتها، بل هي وسيلة أداة، وهي تحتوي على الكل، والكل المرئي والملموس والمحسوس من سطح الأرض الذي يعيش عليه الإنسان ويحيا، يشكل الجغرافيا. ومع بداية عصر النهضة دعيت الجغرافيا بعلم "الجغرافيا الأم" لأنها أم العلوم السائدة التي اهتم بها الإنسان حيث كانت جميع الدراسات والأبحاث المتعلقة بالأرض هي "جغرافيا" وذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر، الذي عرف البدايات الحقيقية لتخصص العلوم وتميزها وتفردتها عن بعضها البعض بالتسمية، وبحقل الدراسة، وبالمنهجية، والأهداف.

فإذا كان حقل الدراسة الجغرافية هو "المكان" (1)SPACE، فإن الجغرافيا إذن هي القاعدة الأرضية لكل أعمال البشر منذ بداية الحضارات القديمة، وسطح الأرض يحمل آثار عمل البشر. التي تعكس مقدار تطورهم في مختلف العلوم وبراعتهم الحربية والبنائية. فالجغرافيا كانت منذ أن بدأت الحضارات الأولية ولازالت هي البوتقة الأساسية للاستراتيجية العسكرية للإنسان في صياغة خططه الهجومية أو خططه التكتيكية. لقد استعرض أحد الضباط الجغرافيين الفرنسيين وهو (جوستاف ليون ينوكس. 1890-1921، GUSTAVE-LEON NIOX) في كتابه عن الجغرافيا الحربية بإسهاب دور الجغرافيا في الحروب، وهو الذي أرسى مفاهيم وأسس ومبادئ الجغرافيا الحربية، وبدأت هذه المبادئ بالتطور مع نهاية الحروب العسكرية في الفترة النابليونية، وبدأت باقي الدول الأوروبية كإيطاليا، والنمسا، والبرتغال، وسويسرا، وروسيا تستفيد من الفكر الجغرافي الحربي الفرنسي القاضي بالتعرف الجيد على مختلف عناصر جغرافية المكان من أجل استخدامها والاستفادة منها للأغراض العسكرية، فأشكال التضاريس، والمناخ، والهيدرولوجيا

جغرافية المجاري المائية السطحية"، وجغرافية النبات، تشكل قواعد العمل الرئيسة في التحليل الحربي للأغراض الدفاعية والهجومية على حد سواء.

الجيواستراتيجية:

ان التغيرات الملاحظة في الفنون الحربية والأدوات الالكترونية المستخدمة بها لعمليات الكشف المكاني، وللكشف فيما وراء الخطوط بالإضافة إلى الاستخدام الموسع لآليات القتال عن بعد ولوسائل التدمير الشامل غير الإستراتيجية، ومختلف أنواع الحروب الإعلامية المتطورة، والالكترونية، وحروب المحاصرة السياسية والمحاصرة الاقتصادية، والتجليات التي أدت الى تطور آليات الحروب الاقتصادية، ناهيك عن حرب النجوم، والحروب التجسسية العسكرية منها والاقتصادية، القائمة حتى بين الدول الصديقة، جعلت الجيواستراتيجية تتخذ لنفسها أبعاد عملاقة تتعدى حدود القارات لتشمل العالم أجمع وتعتبر الأرض بأنها ميدان واحد للعمليات، وأنه على المفكرين المتخصصين في الجيواستراتيجية أن يتدربوا على هذا البعد الكوني، بالرغم من كون هذا المسرح العالمي للعمليات الذي هو ميدان الجيواستراتيجية مع مطلع القرن 21، هو مسرح مركب بداخله يحتوي على عدد من المستويات السياسية والاقتصادية الخاصة بعلاقة الدول مع بعضها البعض، تحدد أنماط المسارح الرئيسة للعمليات، التي تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية، ومن حيث النتائج المتولدة عن انتهاء أو وصول إحدى العمليات الى أهدافها الجزئية أو الكلية.

مفهوم القوة (السلطة):

إن المصطلحات السياسية مثل (القوة والنفوذ والسلطة) تستخدم في منظومة العلوم السياسية في شقها الأكاديمي وفي العالم السياسي في شقه التنفيذي بشكل واسع، لكن استخدام هذه المصطلحات لا يعني الخروج عن هذا المجال فقط، على الرغم من بساطتها اللغوية، إلا أنه لا يوجد عمومًا تصور مماثل ومتساوي حول مصطلح القوة بين من يستعملها، ويختلف فهم السياسيين لهذا المصطلح عن فهم غيرهم له، ما يأخذ الناس عن القوة يختلف تمامًا عما يفسره المختصون في الجيوسياسية والجيواستراتيجية، ويختلف دور القوة وتأثيرها أيضًا في

المجتمعات بصفة عامة عن تطبيقها في بيئة العلاقات الدولية، فالقوة، بلا شك، هي المفهوم الأساسي للمعرفة المسجلة عن ناتج التفاعلات في بيئة العلاقات الدولية.

في الواقع، تعكس القوة في العلاقات بين الفاعلين في العلاقات الدولية، أي أن العلاقات الدولية، وربما بشكل أدق، تفسر العلاقات بين الدول، تستلزم علاقات القوة بين الفاعلين في هذا المجال، وبناء على هذه الحقيقة لم يظهر تنوع في تفسير القوة في العلاقات الدولية إلا في تنوع نظريات العلاقات الدولية المفسرة لطموحات الدول الناتجة عن استخدام تلك القوة. ومع ذلك، في الفهم العادي لمسار العلاقات الدولية، يفترض أن مفهوم القوة قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظرية الواقعية بجميع أشكالها، ولكن يجب الاعتراف بأنه من الممكن اليوم التوصل إلى اعتراف جديد بمفهوم القوة ومفهومها ومتطلباته من خلال نشوء مناهج فكرية جديدة.

لقد عرف علماء السياسة القدماء السلطة بمفهومها العام، بأنها القدر والسبب في أن واحد. في هذا التفسير، تعتمد السلطة فقط على مستوى قدرة وسيادة أحد الطرفين ضد الطرف (الأطراف) الآخر، لإجباره على الخضوع، ومن هذا المنظور، يمكن تلخيص حياة الناس بأكملها نتيجة لتفاعلات السلطة في مجالات ودرجات مختلفة. فالنتائج العملية المتحققة من النظرية الحالية والتي تلي في بعض الأحيان رؤى سلوكية - التوجه هو أنه في العلاقات الدولية لا توجد قوة مهيمنة بالكلية، أو على الأقل لا تعترف الدول الحاكمة بأي قوة على قوتها وسيادتها. وفي هذا المجال الغامض، يرى البعض أن عدم وجود قوة دولية حاکمة، يتطلب إنشاء دولة عالمية في شكل عقد دولي. في المقابل، هناك العديد من المجموعات الأخرى التي تتبع نظرية توازن القوى في علاقات الدول الحاكمة والدول التابعة. هناك أيضاً نظرية مساومة.

تتجلى السلطة اليوم في السيطرة على الناس والأقاليم والموارد والمعلومات، وتعرف الإجراءات ذات الصلة في البلد الواحد بالجغرافيا السياسية (الجيواستراتيجية) أي سياسة القوة المكانية. أما خارج الدولة فتكون القوة (السلطة) في هذا السياق هي القدرة على فرض شيء ضد إرادة الآخرين ويكون هذا في بعد الجيواستراتيجي (الاستراتيجية الجغرافية). وحسب الموسوعة البريطانية فإن القوة العظمى هي الدولة التي تمتلك القوة العسكرية أو الاقتصادية، أو كليهما، وتحظى بنفوذ عام في العالم أعلى بكثير من الدول الأخرى، ولا يمكن تجاهلها على الساحة العالمية فبدون تعاونها لا يمكن حل المشاكل العالمية. كما أن القوى العظمى تشكل الأحداث العالمية

مباشرة. ويستخدم مصطلح القوة العظمى في بعض الأحيان لتعيين دولة تكون قوتها بارزة في مجال معين (مثل قوة عظمى عسكرية، أو اقتصادية، إلخ).

ومفهوم القوة لا يتحقق لدولة ما إلا إذا توفر لها قوة عسكرية مميزة في اقليمها أو قوة اقتصادية معتبرة تستطيع أن تؤثر في سياقها الإقليمي أو الدولي. ويرتبط مفهوم القوة بمفاهيم جيواستراتيجية عدة كمفهوم النفوذ والهيمنة والتوسع والصدام. والقوة العسكرية هي أصل القوة، يليها القوة الاقتصادية، والعلاقة وثيقة جدا بينهما بحيث إن الدولة التي تملك القوتين معا تستطيع أن تكون لاعبا معتبرا في الفضاء الجيواستراتيجي.

وامتلاك قوة واحدة يولد قدرة في الجيواستراتيجية ولكن يبقى محدودا أمام دول تملك القوتين معا. فعلى سبيل المثال تملك كوريا الشمالية قوة عسكرية وترسانة نووية وبالتالي فهي تمثل جزءا معتبرا في شرق آسيا تجعلها تقف أمام الولايات المتحدة، لكن هشاشة وضعها الاقتصادي يضعف كثيرا من قوتها الاستراتيجية. وفي المقابل تملك ألمانيا قوة اقتصادية كبيرة يجعلها لاعبا استراتيجيا قائدا في أوروبا ولاعبا مهما في الشرق الأوسط، لكن ضعف قدراتها العسكرية يجعلها تابعا إلى حد ما أمام استراتيجيات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، بينما كل من بريطانيا وفرنسا تستطيع كل منهما أن تلعب بقوة أكثر في الجيواستراتيجي المتعلق في الشرق الأوسط وإفريقيا وغيرها، ولكن ككلمة لا تستطيعا تجاوز الولايات المتحدة بسهولة، ويبقى الجميع تحت المظلة الأمريكية في معظم القضايا مع بعض المساحات لهما خصوصا في مناطق نفوذهما الاستعمارية السابقة.

في هذا السياق يمكن التعرض لمفهوم القوة الإقليمية وهي التي لا تشكل قوة عظمى على مستوى العالم لكنها قوة إقليمية في منطقتها كإيران وتركيا في الشرق الأوسط، أو الهند وباكستان في وسط آسيا. وتعرّف القوة الإقليمية بأنها تلك الدولة التي :

1. تكون جزءا من منطقة محددة جغرافيا واقتصاديا وسياسيا
2. التي يظهر عليها وتعتبر عن نفسها بأنها لها دور قيادي في المنطقة (التصور الذاتي)
3. تؤثر بشكل كبير في ترسيم الحدود الجغرافية السياسية والبناء السياسي للمنطقة
4. تملك القدرات المادية (العسكرية، الاقتصادية، الديموغرافية) والتنظيمية والسياسية والموارد والأيدولوجية وتعكس ذلك كقوة إقليمية مترابطة وسياسيا اقتصاديا وثقافيا مع المنطقة.

5. لها تأثير كبير في الشؤون الإقليمية من حيث الأنشطة والنتائج
6. تؤثر على أجندة الأمن الإقليمي بطريقة مباشرة.
7. لها موقع مقدّر في المنطقة ومعترف به، أو على الأقل تحظى باحترام الدول الأخرى داخل المنطقة وخارجها، وخاصة من قبل القوى الإقليمية الأخرى.
8. يتم إشراكها في المنتديات والمؤسسات الإقليمية والعالمية حيث لا تعبر عن مصالحها الخاصة فحسب، بل كممثل عن المصالح الإقليمية.

الجيواستراتيجية ضمن مدارس الجغرافيا السياسية

علم الجيواستراتيجية ضمن علم الجيواستراتيجية:

قبل الانتهاء الى تفسير مفهوم علم الجيواستراتيجية وادراك معانيه ومحتواه، فمن المفروض علينا الرجوع الى التأصيل اللغوي والمفاهيمي أولاً ايتيمولوجيا وابدستيمولوجيا لعلم الجغرافيا السياسية لمحاولة توضيح اسسه واصوله، لكن يجب تعريف مصطلحي الإيتيمولوجيا والإبستيمولوجيا اللذان يساعدانا في دراسة المفهوم، فالإبستيمولوجيا هو: علم العلم أي أخذ شيء علمي ودراسته بطريقة علمية¹، أما الإيتيمولوجيا فتعني البحث في أصل المصطلحات ومعرفة تاريخها واستعمالاتها².

يتكون مصطلح "Geopolitic" من شقين Geo وتعني الجغرافيا، و Politic تعني السياسة، ما يقر بوجود علاقة بين الجغرافيا والسياسة، وعليه فسياسة الفضاء الجغرافي يدرس تأثير الأرض - بمكوناتها المختلفة- على السياسة في مقابل سعي الدولة الانتفاع من تلك المقدرات والمزايا وفق منظور جيواستراتيجي في اطار علاقة تأثر وتأثير، فهناك من يصفها "بعلم سياسة الأرض" بمعنى العلم الذي يختص بدراسة تأثير السلوك السياسي من منطلق الأبعاد الجغرافية للدولة³، مما يفسر و يوضح بأن هناك فاعل يمارس مفهوم القوة في حيز جغرافي معين. فيمكن القول اذا بأن علم الجيواستراتيجية هو جزء من علم الجغرافيا السياسية، الذي يعتبر العلم الذي يؤدي إلى دراسة وفهم كيفيات استخدام المقدرات الجغرافية كعامل قوة للتعبير عن المواقف السياسية.

من جهة اخرى، يؤكد الكسندر دوقين على ان الجيواستراتيجية والجيوبوليتيكا انها وجهة نظر السلطة، وعلم السلطة، و يكشف ان تاريخها بطوله على ان من عكفوا على دراستها كانوا دون استثناء ممن شاركوا في حكم الدول والأمم او ممن يهيؤون انفسهم للقيام بتلك الأدوار⁴، فهي حسبته تمثل في العالم المعاصر دليل رجل السلطة، او بعبارة ادق هو "كتاب السلطة"، يقدم ملخصا ينبغي وضعه في الحساب في اتخاذ القرارات الكونية المصيرية، كعقد التحالفات وشن

¹ - النذير عبد الله ثاني محمد: إبستيمولوجيا علوم الاعلام و الاتصال، دار الاديب، وهران، 2017، ص 34.

² - السلامة سليمان محمد امين: الإيتيمولوجيا وتاصيل المفردات في اللغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية جامعة تبوك، السعودية، 2015

³ - هارون على احمد: الجغرافيا السياسية المعاصرة دراسة الجغرافيا والعلاقات الدولية، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1998، ص 11.

⁴ - الكسندر دوغين: اسس الجيوبوليتيكا-مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تر. عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2004، ص

الحروب والقيام بإصلاحات او الاجراءات الاقتصادية والسياسية وغيرها على مستوى واسع، اذا الجيوبوليتيكا هي " علم الحكم".

تتفاوت مجموعات المعاجم والمؤلفين فيما بينها في تحديد المادة الاساسية التي يدرسها هذا التخصص، ومبادئه المنهجية الأساسية، وينطلق هذا التباين من الظروف التاريخية مثلما ينطلق من العلاقة التي تربط الجيوبوليتيكا والجيواستراتيجية بالسياسة العالمية¹، وبقضايا السلطة والادولوجيات السائدة والطابع الجغرافي، التاريخي، علم السكان، الاستراتيجية، الاثنوغرافيا، علم الاديان وعلم البيئة، فضلا عن السياسة والاقتصاد وغيرها، و بما ان لمجموع هذه العلوم، السياسية والعسكرية وغيرها اعداد كبيرة من المدارس والاتجاهات، لا يعود مجال للحديث من ضرب من الصرامة او احادية المعنى في الجيواستراتيجية.

تعددت التعريفات المقدمة لهذا العلم، ولعل سبب هذا الاختلاف والتعدد يعود إلى عاملين أساسيين: أولهما، تعدد الاتجاهات الفكرية، وثانيهما، اختلاف الفترات الزمنية والأحداث الدولية.

حيث عرفه كذلك (Rudolf Kjellen رودولف كيلين)، الذي يعد أول من استخدم مصطلح الجغرافيا السياسية في كتابه "الدولة مظهر من مظاهر الحياة" عام 1905 على أنه: "دراسة البيئة الطبيعية للدولة، وأن أهم ما تعنى به الدولة هو القوة، كما أن حياة الدول تعتمد على التربية والثقافة والاقتصاد والحكم وقوة السلطان"،

اما (Gerry Kearns) فيعرف الجغرافيا السياسية بـ "ذلك الخطاب يصف ويشرح ويعزز طرقاً³² معينة لرؤية كيفية تكوين القوى الإقليمية وممارستها"².

عرفه ايضا (Isaiah Bowman - ايسايا بومان) بأنه: "العلم الذي يساعد على تحديد الاسباب الجغرافية المؤثرة على السلوك السياسي للانسان"³.

¹ - Longman Dictionary of Contemporary English : Essex : Longman, 1987, p. 433

² -Gerry Kearns: *Imperial Geopolitics, Geopolitical Visions at the Dawn of the American Century*, Katharyne Mitchell, Gerard Toal eds., *A Companion to Political Geography*, Oxford: Blackwell, 2003, p. 173.

³ - Bowman Isaiah : *Political Geography of Power*, *Geographical Review*, vol.32, n°2, avril 1942, pp.349-352.

أما كارل هاوسهوفر **Karle Hawshofer** - فقد عرفه على أنه: "العلم القومي الجديد للدولة، وهي عقيدة تقوم على حتمية المجال الحيوي بالنسبة لكل العمليات السياسية"، حيث اعتبره بمثابة العلم الجديد للدولة الذي يستند إلى الجغرافيا السياسية بدل أمور أخرى¹، في حين عرفه بيار ماري كلاوس **Pièné Marie Gallois** - على أنه: "دراسة العلاقات الموجودة بين تسيير أو قيادة القوة على المستوى العالمي والإطار الجغرافي الذي تمارس فيه."

أما إف لاکوست **Yves Lacoste** - فقد اعتبره: "دراسة لمختلف أشكال صراع السلطة على الأرض، والقدرة تقاس بالموارد التي يحتويها الإقليم وبالقدرة على التخطيط خارج الإقليم"²، في حين بارتس شابمن **Bert Chapman** - عرفه من منطلق العلم الذي يعكس الواقع الدولي ومجموعة القوى العالمية المنبثقة عن تفاعل الجغرافيا من جهة، والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية من جهة أخرى، وتتسم بالطابع الديناميكي لا الثابت³.

من التعاريف السالفة الذكر يمكن ملاحظة مدى التمايز حول مفهوم هذا العلم بين مختلف الاتجاهات العلمية، لكن من جهة أخرى نلمس قدر من الاتفاق بين البعض منهم، ولتوضيح ذلك التمايز الموجود، يتم توضيحها من خلال مجموعتين:

فالمجموعة الأولى : نجد كارل هاوسهوفر، رودولف كيلين و بيار كلاوس يركزون على الدولة على أساس أنها الفاعل الأساسي والوحيد من يمتلك سلطة القوة المتمثلة في الجغرافيا فقط، فعرفت ذلك الجغرافيا السياسية في إطار المنظور الوضعي الويستفالي، فهذا العلم حسبهم كما يقول هارتشورن عبارة عن "سم ذهني" بحيث من يعتنق الجيواستراتيجية أو يخطط من منظوره يكون ذو نزعة عدوانية ويجد الحل دائماً في الجغرافيا.

المجموعة الثانية : ركزت في تعريفها على مرتكزات المنظورات أخرى، فتعريف كل من شابمن بارتس وايف لاکوست، لم تكن عندهم القوة الصلبة والدولة الفاعل الأساسي

¹- **Karl Haushofer: Why Geopolitik ?** in Gerard Toal, Simon Dalby, Paul Routledge, (eds.), *The Geopolitics Reader*, London : Routledge, 1998, p.33.

²- **Yves Lacoste : Géopolitique de la Méditerranée**, Edition Armond Colin, France, 2006, p20.

³- **Chapman, Bert: Geopolitics: A Guide to the Issues**, "Nicholas J. Spykman, 1893-1943", in Bert Chapman 'ed, New York, Praeger, 2011, p23.

الوحيد، بل اتفقوا على وجود فواعل أخرى تتسم بطابعها الديناميكي، كالميديا، الثقافة، الديموغرافيا، التكنولوجيا، الجنس وغيرها. ذات القدرة على التأثير خارج الاطار الجغرافي التقليدي. وعليه فالجيواستراتيجية تدرس الإمكانيات الجغرافية المتاحة للدولة، أي تدرس وضع الدولة من منظور الوضعية الجغرافية كما هي عليه في الواقع، وتختص بالبحث عن المصادر والموارد اللازمة لبناء قوة الدولة حالياً ومستقبلاً، والعمل على رسم السياسات والخطط بما يتماشى ورؤيتها الاستراتيجية.

1- مراحل تطور علم الجيواستراتيجية:

إن ظهور اسس أفكار الجيواستراتيجية قديمة قدم البشرية، حيث بدأت تتضح منذ أن أخذت المجتمعات البشرية تتجه نحو إقامة الدولة، أين بدأ اهتمام المفكرين بدراسة تأثيرات المجال الجغرافي على الشؤون السياسية والاستراتيجية (العسكرية)¹، فتوصل المؤرخ اليوناني هيرودوت إلى أن سياسة الدولة تعتمد على جغرافيتها، من هنا كانت نقطة ارتكاز انطلاقة المفكر اليوناني أرسطو الذي ربط عقدة التأثير المتبادل بين السلوك البشري وبيئته الطبيعية، فكتب عن علاقة السياسة بالجغرافيا في مؤلفه "السياسة" أكد من خلاله من منظور جيواستراتيجي أن الموقع الجغرافي لليونان في الإقليم المعتدل "المناخي" قد أهل الإغريق إلى السيادة العالمية على شعوب الشمال "البارد" والجنوب "الحار"، وقد تبنى سياسته على تقسيمات بارمينيدس- للعالم إلى خمسة أقسام: إقليم شديد الحرارة وإقليم شديد البرودة وإقليم معتدلان، وأكد أن الإقليم المعتدل الذي يسكنه الإغريق هو الإقليم الذي يحمل في طياته بذور القوة².

إلا أن التطور الفعلي لعلم الجيواستراتيجية قد انبثق عن تطور علم الجغرافيا السياسية الذي بدأ مع القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين مع المفكر فريدريك راتزل- الملقب بأب الجغرافيا السياسية³ والخير في الشؤون الجيواستراتيجية،

¹ - محمد ابراهيم الديب: الجغرافيا السياسية (اسس و تطبيقات)، القاهرة، 1984، ص13.

² - محمد رياض: الاصول العامة في الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيكا، مؤسسو الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص55.

³ - Silviu Costachie : *Ratzel and the German Geopolitical School -The Inception of Culture as essential element and factor in the political Geography*, revista Romana de Geografie Politica, no2, University of Bucharest, 2010, p 298.

إذ يعتبر أول من استخدم مصطلح الجغرافيا السياسية في مؤلفه "الجغرافيا السياسية" عام 1897، حيث آمن راتزل بأفكار داروين - في التطور البيولوجي وصاغ من خلالها نظريته في تحليل قوة الدولة، فهي بالنسبة له كائن حي يستمد خصائصه من جغرافيته، وبما أن الكائن الحي ينمو فيكبر فتضيق عليه ملابسه فيضطر لتوسيعها، كذلك الدولة، ستضطر إلى وضع استراتيجيات لتوسيع فضائها الجغرافي وزحزحتها كلما زاد عدد سكانها وتعاضمت طموحاتها، فحدود الدول في نظره هي حدود زئبقية قابلة للتوسع والانكماش ويجب على الدولة دائما أن تحافظ على رغبتها في التوسع لأن أي تراجع أو انكماش يجعلها عرضة للالتهام من قبل دول أخرى أقوى (البقاء للأقوى).

في الوقت الذي تحدث فيه راتزل عن الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية التي تنظر للدولة كوحدة استاتيكية (Static) وفي ظل مناخ سياسي مغاير خطى مفكرين آخرين ألمان منحى جديد في تطوير هذا العلم وتحديثوا عن علم السياسات الأرضية أو ما أُصطلح على تسميته الجيواستراتيجية، مع المفكر رودولف كيلين الذي انطلق من فكرة أن الدولة كائن عضوي لكنه متطور وليس ثابت¹، بحيث وضع مرتكز التشبيه بين الدولة والكائن الحي طبيعة البناء العضوي، فجسد الدولة هي الأرض وعاصمتها بمنزلة القلب والرئتان، وأما ما تبقى من المكونات التي تمدها بمقدرات القوة، كالثروات الطبيعية الأولية المختلفة اللازمة لتنمية قوة الدولة فهي بمنزلة شرايين واوردة، أما الأفراد والجماعات داخل الدولة فهم بمثابة النسيج خلوي عند الكائن الحي، ربما يكون هناك اتفاق مع فكرة راتزل بأن تحقيق القوة هو الهدف الاستراتيجي النهائي لنمو الدولة واستمرارها، وأن الدولة تتكون من خمسة أعضاء: الحكومة، السكان، الأحوال الاجتماعية، المركب الاقتصادي والمركب الطبيعي، والقانون الطبيعي يلزم حتمية التطور البيولوجي للدولة، الشيء الذي يدفع بها للنزاع والمنافسة تؤدي بخضوع الدولة الأضعف لصالح الدولة الأقوى.

¹ - Ola Tunander: *Swedish-German geopolitics for a new century* Rudolf Kjellén's 'The State as a Living Organism', *Review of International Studies Association*(2001), 27, 451

المحور الثاني: علاقة الجيوستراتيجية بالعلوم الأخرى:

يمكن القول ان النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هو الذي شهد كل العمل الحقيقي والدراسات الاصلية التي ارسى القواعد الراسخة للجغرافية السياسية، وثبتت ملامحها كفرع من فروع الجغرافيا البشرية، وكان هذا التأخير في حد ذاته مدعاة لتفسير عدم الاستقرار او عدم وضوح الفهم المتكامل للجغرافية السياسية، وهو سببا منطقيا يمكن ان يفسر عدم التناسق بين جملة المناهج التي يمارسها الباحثون في الجغرافيا السياسية، ولعله ما يفسر كذلك التناقض بين اساليب المدارس الجغرافية في ادراك واستيعاب المجال الواسع للمفهوم المتكامل للجغرافيا السياسية و ادائها الوظيفي المتخصص، وعليه فان هناك حاجة ملحة لان تستعين بنتائج علوم اخرى كثيرة التي تساعد في فهم مدى تأثير العوامل، وليس من الضروري ان ترجع فقط العوامل الثابتة التي تتصل بالمقومات الطبيعية، وكثيرا ما تكون العوامل المتغيرة التي تؤدي اليها المقومات البشرية، شريكة في صنع المشكلة او مؤدية اليها.

1-علم السياسية:

هناك ترابط متين بين علم الجيوستراتيجية وعلم السياسية، فكل منهما يبحث في شؤون الدولة لكن كل من منظورات مميزة، وبالرغم من ذلك، فالعلاقة بينهما ترابطية وتكاملية، فعلم السياسة يهتم بسياسة الدولة ومقومات سيادتها وقوتها، بينما تركز الجغرافيا السياسية على دراسة العلاقات المكانية للدولة ومكونات قوتها.

2-علم التاريخ:

يلتقط من علم التاريخ النتائج التي تكشف عن الحقائق وتفسرها، وتلقي الاضواء على الاحداث التاريخية، التي تتركز عليها المشكلات، وتعتبر المتابعة العميقة لتاريخ فلسكين – مثلا – على امتداد الزمن سبيلا من اهم السبل التي تحدد ابعاد عوامل كثيرة تتصل بمشكلة خطيرة يعاني منها جزء من العالم. فعلم التاريخ كدراسة متسلسلة لجميع العصور يجب أن يدخل بقوة في أي سياق الجغرافيا بشكل عام والجيوستراتيجية بشكل خاص، وذلك لأنه يتعين على الدارسون

في هذا الشأن أن يستشهدوا بصفحات التاريخ وأمثله في صياغة المبادئ ووضع الأسس لتفسير المشكلات الجارية وتحليلها¹.

3-علم العلاقات الدولية:

ياخذ من علم العلاقات الدولية نتائج تتصل بالقوانين والاتفاقيات الدولية، بل إن كثيرا من النظريات المستعملة التي تنطوي عليها العلاقات الدولية تكون هي الأخرى جزءا هاما من التفكير والتخطيط الجيواستراتيجي، يهتدي بها الباحث في فهم جوانب المشكلات التي يعالجها، كمشاكل الحدود والمضايق البحرية والمياه الإقليمية والنقل البري والبحري و الجوي وغيرها من القضايا التي تؤثر في بيئة العلاقات الدولية.

4-علم الانثروبولوجيا:

يركز الباحث كذلك على نتائج متنوعة من حصيلة هائلة ينتهي اليها علم الانثروبولوجيا - الطبيعية والاجتماعية- في تفهم ما يتصل بالتركيب الهيكلي للكيان البشري في الوحدات السياسية، وفي إدراك ما قد يبني على ذلك من تناسق او عدم تناسق داخل الوحدة ذاتها، وقد لا يستطيع الجغرافي تفسير المشكلات التي ترجع الى عدم التناسق إلا من خلال الاحاطة به وما ينتهي اليه من نتائج، التي تساعده في تجسيم معنى الاقليات او مشكلات التفرقة والتمييز العنصري².

5-الديموغرافيا:

بما أن الديموغرافيا تهتم بدراسة السكان دراسة علمية من حيث العوامل المؤثرة عليهم وحركتهم ونموهم وتركيبهم، فهي تركز على معلومات تعتبر عنصر مهم من عناصر الدولة (السكان)، إذ لا بد لأي فهم صحيح للدولة ومشكلاتها أن يضع في الاعتبار الاحصاءات الحيوية وتركيب

¹- Semra Ran Gokmen: *Geopolitics and the study of International Relations*, Doctorat thesis, Middleast Technical University, 2010, p16.

² - Lisa Wedeen : *Reflections on Ethnographic Work in Political Science*, Annual Review of Political Science, University of Chicago, 2010, pp 256-258.

السكان ونموهم لكي تكون الفكرة وافية عنهم وتكون التحليلات والنتائج مستندة إلى حقائق دقيقة¹.

6- علم الاقتصاد

يلتمس الجغرافي في علم الاقتصاد سبل التأثير المتبادل بين السياسة والاقتصاد الخطي الاستراتيجي، ففضلا عن الامام بمعطيات عن القوة الاقتصادية للدولة فيما يخص قدراتها من الثروات الطبيعية والموارد المتاحة ومصادر تموينها والقوة العاملة وجميع العوامل الاخرى المشكلة لزيادة قوة اقتصادها، وادراك النتائج التي تمثل ضوابط حاكمة للمذاهب الاقتصادية، وما تمليه على التوجه الجيواستراتيجي والجيواستراتيجي الذي تتبعه الدولة في تعاملاتها مع الدول، ويتبين اثر تداخل السياسة في تركيبة البنيان الاقتصادي، او كيف يملئ الاقتصاد ويسوق السياسة الى مواقف محددة على الصعيد المحلي او الاقليمي او العالمي، ومن غير استيعاب لذلك كله، لا يحقق التناسق الموضوعي بين الجغرافيا والمشكلات على السياسة نتائجها المرجوة، بل يفقد البحث اهم المتغيرات التي تلعب دورا في سياسة الدول وما تنتج عنه من حالات السلم والحرب.²

7- الجغرافيا العسكرية:

تمثل الجغرافيا العسكرية عمقا أساسيا لكل التحركات العسكرية وسير العمليات الحربية، إذ أنه من المستحيل فصلا لعمليات العسكرية عن ظروف البيئة الجغرافية حيث تمثل الأرض بواقعها الطبيعي والبشري مسرحاً للعمليات العسكرية. لذا تهتم الجغرافيا العسكرية بدراسة العلاقة بين البيئة الجغرافية من جهة وبين الأنشطة العسكرية من جهة أخرى. فهناك ارتباط وثيق بين الجغرافيا العسكرية والخطط الإستراتيجية الوطنية. إذ تبحث الأولى عن الخطوط العريضة، التي تحدد اتجاه القوى، والأهداف، والمصالح القومية، وتحديد أماكن النزاع الفعلي أو المحتملة، والتنبؤ بوقت ومكان الأحداث، وتهتم الثانية بإعداد، واستخدام القوة السياسية والاقتصادية للدولة، إلى جانب قوتها المسلحة في السلم والحرب لتأمين الأهداف

¹ - Rodrigo Rodrigues-Silveira : *The Politics of Demography Censuses as resources for political analysis*, Salamanca University, Spain, 2014, p2.

² - Gilles Saint-Paul : *Economic Science and Political Influence*, Journal of the European Economic Association, Volume 11, Issue 5, 1 October 2013, Pages 1015.

الوطنية. لذا يصعب الفصل بينهما فكل واحدة منهما تعتمد على الأخرى، تتأثر بها وتؤثر عليها، كذلك يصعب فصل الإستراتيجية العسكرية عن الشؤون السياسية، والمدنية، والاقتصادية، وذلك لأن الحرب لا تقتصر على معارك الجيوش في الميدان، بل تشمل جميع مظاهر الحياة كذلك.

من كل ما سبق، يمكن فهم ان الجيواستراتيجية تقتضي احاطة واسعة وارتباط متكامل ومعرفة شاملة لمختلف العلوم، بل تتطلب مهارة وتفوقا في القدرة على جمع تلك المعطيات والنتائج والارتكاز اليها في مواجهة الدراسة الموضوعية للمسائل التي تدرسها، ومهارة وقدرة عالية في تحليل وتفسير الظواهر السياسية المختلفة ويجد لها حلولاً.

فروع الجغرافية الأخرى:

يتوسع اهتمام علم الجيواستراتيجية بجميع فروع الطبعية والبشرية بكل المعطيات التي تخص مقومات قوة الدولة، كما طبيعة العلاقة بين الارض والمجتمع، ما يشمل في هذا تحديد علاقتها بالوحدات الاخرى، وهذا كون الجيواستراتيجية تدرس الدولة كوحدة سياسية تنتمي إلى نظام جغرافي وسياسي واقتصادي واجتماعي خاص بها، كما ترتبط بدرجات متفاوتة بمختلف الميادين العلمية التي تاخذ اهميتها في بناء قوة الدولة حسب ظروف الزمان والمكان والتطورات و التفاعلات الحاصلة والمتجددة على جميع الاصعدة والمستويات (المحلية، الاقليمية و العالمية).

المحور الثالث: مناهج البحث في الجيواستراتيجية:

تتطابق تقريبا مناهج البحث في الجيواستراتيجية بمناهج البحث في الجغرافيا السياسية نتيجة تطابق المواضيع التي يدرسها، وهذا يمثل نتيجة طبيعية تبنى على توافق الطرق والاساليب التي يلجأ اليها الباحث في البحث وعرض الموضوع ودراسته، فالجيواستراتيجية تدرس قضايا جيواستراتيجية لفضاء جغرافي معين كجزء من الدراسة العامة التي تفترضها الجيوساسة، كدراسة الحدود السياسية ومقومات قوة الدولة في اي منطقة من العالم، ويهم في هذا المجال الاشارة الى مجموعة مناهج مختلفة، يسير عليها الباحث في الجيواستراتيجية، ومن هذه المناهج ما يلي:

1-المنهج التاريخي:

هو نقطة الالتقاء بين حصيلة ونتائج الدراسات الجغرافية والدراسات التاريخية، فيكون بذلك المنطق الذي ينطلق من البحث متوخيا في التناسق من اجل استنباط جملة من القواعد العامة والاصول التي تخضع لها السياسة، او التي تحكم مسألة العرض العام للمشكلات السياسية، التي يصنعها المنهج التاريخي لتقييم المشكلات، او تقدير ما من شأنه ان يكشف الغطاء عن وجهها الحقيقي، او للغوص وراء الجذور العميقة لها.¹

2-المنهج التحليلي:

يعمل هذا المنهج على معالجة القضايا بأسلوب مختلف تماما، وابتعد ما يكون عن التقيد بالقواعد العامة، بحيث يلجأ الى معالجة الموضوع الذي يشمل فضاء جغرافي معين او اكثر متضمنة كل المحددات وخصائص الارض والضوابط الطبيعية المحيطة بها الداخلة في التحليل، كما تشترك مع خصائص السكان والضوابط البشرية التابعة من صميم وجودهم ومستواهم الحضاري ونشاطهم في صنع اهم العوامل المتغيرة. وهذا يعني ان هذا المنهج يتسم بالواقعية وعدم الجمود او التقيد بالنمطية والقوالب الجامدة، لذلك انه يدعوا الباحث للاهتمام بكل خصائص الوحدة السياسية، من حيث الموقع الجغرافي والشكل العام والمساحة والحدود والموارد المتاحة وغيرها من الخصائص، ولان يهتم ايضا بالناس وظروفهم المحيطة، وبتجمعهم على تلك الارض ولوائهم لها و نشاطاتهم ومشاكلهم داخليا وخارجيا.²

وهذا ما انتهى اليه الاستاذ ماكندر في تشكيل للفلسفة التي تأثرت بها الدراسات الجيواستراتيجية، وتأكيد وظيفتها وماهيتها، ولعل اهم مانتهى إليه هو الايمان المطلق بتأثير الحقائق الجغرافية الطبيعية والبشرية على تطور الاحداث وسير حركة التاريخ البشري من ناحية، وعلى سياسات الدول والمشكلات السياسية التي تعاني منها من ناحية اخرى.

¹ - صلاح الدين الشامى: مرجع سابق، ص 27.

² - Jon Pierre and B. Guy Peters: *Governance, Politics and the State, Political Analysis*, Colin Hay, Red Globe Press, USA, 2019, p27.

3-المنهج الاقليمي:

هذا المنهج اساسي، فهو يقوم على دراسة فضاء جغرافي محدد او اقليم معين لكي يتخذ منه مرتكزا تنطلق منه الدراسة والنتائج التي يستهدف من خلالها تصوير المشكلات وتحليلها، لكن بات هذا المنهج مهزوز نوعا ما بسبب تغير مفهوم الاتصال و التواصل بين اطراف العالم ودوله، ومنطلق توازن القوى السياسية والاقتصادية الذي بات لا يعترف بالحدود التقليدية الجامدة بين الاقاليم الجغرافية او لا تتوقف عندها، فباتت تفرض ابعادا ونتائج مؤثرة.¹

يرتكز هذا المنهج على تحليل الدولة من منطلق العناصر التي تتكون منها من مختلف الظواهر الطبيعية والبشرية والاقتصادية وغيرها شكلا وحجما، وطبيعة مناخها والسكانها وغيرها، وتحليل تاريخها السياسي، ومعرفة حدودها، وطبيعة علاقاتها السياسية بمحيطها الخارجي، من الملاحظ على هذا المنهج كم المعطيات الوفير ما يخشى معه على الباحث أن يحيد به إلى وصف مجموعة من الدول وصفا إقليميا، والجغرافيا السياسية بهذا المنحى لن تكون لها ميزتها الخاصة، فعلى الباحث الجغرافي في هذا المجال أن يستفيد من هذا المنهج في إبراز المشكلة موضوع دراسته بتحليل المعلومات والبيانات المختلفة بطريقة " الجغرافي الإقليمي " الذي يختار ما يريده من الدراسة الإقليمية التي تفيد في فهم طبيعة المشكلة وأسبابها الجغرافية.

4-منهج تحليل النظم العالمية The world systems Analysis Approach

يتعلق هذا المنهج المرتكز على الطريقة التي يتصور بها مختلف التحولات الاجتماعية والسياسية من منظور عالمي، فقد وقف الدارسون على عدم التمييز بين مصطلح "المجتمع" ومصطلح "البلدان" فخرجوا بذلك بنتائج عن بعض المجتمعات ثم طبقوها على البعض الآخر، ومن ثم نتحدث عن بعض المجتمعات مثل المجتمع العربي، والمجتمع الاسيوي، والمجتمع الأمريكي... الخن حسب الانتماء الجغرافي او الاقليمي، وبما ان هناك العديد من الدول في عالم اليوم، فهذا يلزم دارسي التغير الاجتماعي أن يحددوا الفضاءات الجغرافية المتعامل معها، من جهة اخرى يقوم هذا منهج بتحليل وتفسير أبعاد المنظومات التاريخية والسياسية، والبنية المكانية

¹ - صلاح الدين الشامي: مرجع سابق، ص 26.

للاقتصاد العالمي، والنطاق الجغرافي للأنظمة، قوة وحركات الاقتصاد العالمي وطبيعة القوة (الأفراد - المؤسسات - الطبقات - الشعوب).¹

5-المنهج الوظيفي: The Functiona Approach

يهدف هذا المنهج إلى دراسة الدولة في إطار طبيعة علاقاتها الخارجية والداخلية، ومقومات الدولة وفرصها في المحافظة على كيانها الداخلي في ظل نظام مجتمع دولي متكامل، وبعد العوامل المورفولوجية وقوة تأثيرها كالمناخ، والتضاريس، والقوميات المتعددة أو جماعات الشعوب على الأنشطة السياسية للدولة، وكذلك أثر المظاهر السياسية بدورها على العوامل غير السياسية، كأنماط الاستقرار واستخدام الموارد وتطور شبكات النقل والاتصال، ونمو الخدمات والمرافق وغيرها، كما يدرس قدرة الدولة على التكيف والبقاء والنمو في ظل الظروف الأوضاع الخارجية حولها، ومشكلاته الإقليمية مع الدول المجاورة.² ومن هنا يمكن القول ان المنهج الوظيفي يهدف إلى التحليل السياسي للوحدة السياسية من خلال الوظائف الداخلية والخارجية التي تؤديها.

6-المنهج المورفولوجي: The Morphological Approach

يرتكز هذا المنهج على تحليل أنماط الظواهر الطبيعية والسياسية للدولة وتراكيبها، حيث يوجد سلوك لتنظيم سياسي إداري داخل كل دولة أو نمط التنظيم الإقليمي كتل إقليمية (أو تنظيمات عالمية اتحادات دولية)، أما ظواهر البناءات السياسية كعواصم الدول وشعوبها ومواردها الاقتصادية، وطبيعة الحدود والبيئة الجغرافية المتنوعة، والمشكلات التي تواجه المناطق المختلفة.³

¹ - إيمانويل وولرسين : تحليل النظم الدولية، ت. اكرم علي حمدان، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2015، ص19.

² - Roger E. Kasperson & Julian V. Minghi : *The Structure of Political Geography*, Routledge, 1st Edition, 2011, p16.

³ - F. Zwicky and A. G. Wilson (eds.): *New Methods of Thought and Procedure. Contributions to the Symposium on Methodologies*, May 22-24, 1967, Pasadena. New York: Springer-Verlag, 1967, p28.

The landscape Approach-7

يرتكز على دراسة المجال الطبيعي- السياسي للدولة (الوصف من المنظور الطبيعي)، من حيث الموقع الجغرافي، المساحة، الشكل، والأقسام السياسية فيها، ووصف شكلها الداخلي من حيث الاثنيات والعرقيات، اللغة، الدين، الأجناس، الأحزاب السياسية وميولها الايديولوجي، كما تبحث في العناصر الخارجية وصا الحدود السياسية وتطورها وتركيبها ومشكلاتها وشكلها العام، وكذلك شكل الدولة ووصا علاقاتها الدولية الأخرى وكذلك وصف للمجتمع البشري بتركيباته المتعددة، والأسلوب الاقتصادي الذي تتبعه الدولة وأثره في قوتها وضعفها.¹

من المناهج المستخدمة للتحليل الجيواستراتيجي وقوانين الجغرافيا السياسية متكاملة بصورة كبيرة ومساعدة بشكل واضح للتحليل ووضع الخطط الإستراتيجية، ولهذا العلم عدد كبير من التداخلات مع علم الاجتماع وعلم السياسة والإستراتيجية العسكرية وتاريخ الأديان والاثنولوجيا، فضلا عن الاقتصاد، حتى ان بعض العلماء اتفقوا على تأسيس علم جديد هو علم "الجغرافيا الاقتصادية".

بالإضافة الى ذلك، يبدو دور الجيواستراتيجيا أكثر حضورا على الصعيد الاجتماعي الواسع، فمستوى تطور الإعلام والاجتذاب الفعال للإنسان العادي الى الاحداث الدائرة على مساحة العالم كله، و"عولمة" وسائل الإعلام كل هذا يدفع الى التفكير في المدى المكاني من خلال مصطلحات جيواستراتيجية برتبة اولى، لذلك التفكير الذي يساعد على تصنيف الشعوب والدول والنظم والاديان وفقا لتقسيم وتحديد الفضاءات الجغرافية، المعنى الذي يتضمنه حتى ايسر الاخبار المذاعة عبر مختلف الوسائط الإعلامية، فباستخدام الشبكة الجيواستراتيجية الاقرب الى الفهم البسيط "قلب العالم، الهلال الداخلي، جزيرة العالم" في تفسير اي مادة اعلامية تتعلق بالأحداث العالمية لا ترسم امامنا على التوا انموذج الموضح الذي لا يطالب بكميات اضافية من المعارف المتخصصة الضيقة، "توسع الناتو نحو منطقة الشرق" يعني من هذا المنطلق "توسيع مساحة Rimland لصالح التالاسوكراتيا"، "الاتفاق بين المانيا وفرنسا على انشاء قوات مسلحة خاصة اوروبية صرفة" خطوة في اتجاه انشاء بنية تيليروكراتية قارية"، "النزاع بين العراق والكويت

¹ - Marleen Buizer & Others : *Landscape Approaches: A State of the Art Review, Annual Review of Environment and Resources, University of Groningen, the Netherlands, 2017, p450.*

"، " سعي دولة قارية الى ازاحة تشكيل تلاسوكراتي مفتعل يحول دون السيطرة المباشرة على منطقة ساحلية " وهكذا.

كما انه من جهة أخرى حول تأثير المنهجية الجيواستراتيجية على السياسة الداخلية والخارجية للدولة، إذا كان المغزى الجيواستراتيجي للخطوات المحددة للأحزاب والحركات السياسية، بالإضافة الى البنى السلطوية واضحا لتمكن بسهولة من نسيها الى نظام المصالح العالمية، وبالتالي كان سهلا تشفير اهدافها الجيواستراتيجية البعيدة، فالتكامل - مثلا - بين روسيا والدول الأوروبية وبخاصة ألمانيا خطوة من طرف القوى التيلوروكراتية (الاوراسيين)، ومن هنا يمكن التنبؤ بتعزيز الميول " الايديوكراتي". وعلى العكس من ذلك فان تقارب موسكو مع واشنطن يعني الخضوع للخط التلاسوكراتي، وعلى هذه المنوال وفي ضوء القوانين الجيواستراتيجية الداخلية يمكن فهم وتفسير العمليات السياسية الداخلية والخارجية المختلفة، فكل حدث يكسب معنى واضح في ضوء الجيوسياسة.

المحور الرابع: أسس التحليل الجيواستراتيجي:

لقد وضع هارتشورن Hartshorne أربع اسس مختلفة في مجال التحليل الجيواستراتيجي:¹

- 1- تحليل القوة.
- 2- تحليل التاريخ.
- 3- التحليل المورفولوجي.
- 4- التحليل الوظيفي.

أضاف كوهين Cohen طريقتين أخريين: سلوكية ومنهجية. إلى كل هذه الأساليب، كما يمكن اضافة "طريقة التحليل العاملي- Factorial Analytical Method"²، جنبا الى جنب وطريقة التفكير الجيواستراتيجي. فمن جانبه، سمح تصنيف أساليب دراسة الجيواستراتيجيا التي صممها كوهين بتطوير الأسلوب الجيو-عسكري كأحد الخيارات الممكنة التي توفرها أساليب تحليل السلطة.

¹ - Miguel Angel Ballesteros Martin : *Method for the analysis of geopolitical regions (MARG)*, Journal of the spanish Institute for Strategic Studies, Spain, 2015, p4.

² - Miguel Angel Ballesteros Martin : *Op.Cit* p4.

بمجرد تحديد المستويات الثلاثة للأنظمة (النسق/النظام السياسي للإطار الجيواستراتيجي - الأنظمة الفرعية، والأنظمة الفوق-قومية)، كما يجب تحديد مجالات التأثير الجيواستراتيجي لمختلف العوامل الجيواستراتيجية قيد الدراسة. بعبارة أخرى، يجب أن تحديد أي مجموعة من المجالات/ الركائز الجيواستراتيجية" للعوامل والمحددات الجيواستراتيجية التي سيقوم البحث فيها في إطار المقياس النظامي المختار (مستوى "النظام" أو مستوى "الأنظمة الفرعية" أو مستوى "الأنظمة فوق قومية".¹

من أجل اتباع ترتيب عقلائي في تحليل تأثيرات العوامل الجيواستراتيجية، يجب أن يبدأ التحقيق من مستوى "الأنظمة العليا" وتستمر في مستوى "النظام". يجب أن يثبت مثل هذا الترتيب التسلسلي لأنه في معظم الحالات، إذا تم الانتهاء من تحليل تأثيرات العوامل الجيواستراتيجية على مستوى الأنظمة الفرعية، وإذا تم تحديدها بشكل صحيح، فإن التحليل المعني على مستوى النظام بأكمله سيكون ذو نتائج دقيقة. إضافة إلى مجموعة محدّدات أخرى، يتم فحص الركائز التي سيتم ذكرها من حيث القوة والضعف، الفرص والتهديدات كل على حدي، كاستعمال "مصفوفة (S.W.O.T) على سبيل المثال، ويمكن تحديد الركائز الجيواستراتيجية المختلفة انطلاقاً من مقومات ومجموعة محدّدات قوة الدول المختلفة فيما يلي:

- 1- المحدد الجغرافي.
- 2- المحدد البشري.
- 3- المحدد الاجتماعي - الثقافي والقيمي - التاريخي.
- 4- المحدد السياسي- الدبلوماسي.
- 5- محدد سياسيات الدفاع والأمن.
- 6- المحدد الاقتصادي.
- 7- المحدد التكنولوجي.

¹ - Ioannis TH.MAZIS : *Geopolitics Academic Dissertations (1983-2008), Methodology for Systematic Geopolitical Analysis According to the Lakatosian model*, Vol1(2), Athens, Greece, 2016, p678

المحور الاول: الفكر الجيواستراتيجي القديم

منذ نشأة الدولة توقف الفكر الاستراتيجي عند اثار الفضاء الجغرافي في قوة الدولة وسياستها، ولكن بدون تحديد دقيق لتلك الاثار وبدون معرفة مسبباتها، وبدون معرفة قواعدها التي يمكن ان تطبق في فضاء جغرافي اخر من العالم، فالفيلسوف اليوناني ارسطو اعتبر ان موقع اليونان الجغرافي في الاقليم المعتدل يساعد الاغريق على تصدر السيادة العالمية اكثر من دول الشمال في الاقاليم الباردة¹، ودول الجنوب في الاقاليم الحارة، حيث نجد ان خريطة " هيكتايوس " قسمت العالم الى اقليمين مناخيين هما: الاقليم الاول بارد، يشمل اوربوا وشمال آسيا والثاني اقليم حار او دافئ ويشمل اسيا و افريقيا. واتبع المصريون سياسة الجيوبوليتيكا قوامها ان الدفاع على مصر، يبدأ على اراض بعيدة عنها، اي من منطقة شرق البحر الابيض المتوسط، واكتشفوا هذه القاعدة من خلال صراعهم المستمر مع الحثيين القادمين من المشرق.

اعتبر الجغرافي الروماني Strabo ان القوى العالمية مركزة في الاقاليم ذات الفضاءات الجغرافية الكبيرة المساحة وليس في الهوامش البحرية²، وراى ان اوربوا تعتبر مركز هذه القوى العالمية، فهي تمتلك القدرة على تحقيق التطور الفكري والاجتماعي. و اشار في تقسيمه للعالم الى القوى ذات الاهمية الموجودة من جبل طارق الى خليج المحيط الشرقي (بلاد البنغال)، ومن ايرلندا شمالا الى سلان (سريلانكا) جنوبا، وفضل استخدام الحدود الجغرافية الطبيعية كفواصل، مثل برزخ السويس بين اسيا و إفريقيا وطوروس بين اسيا واوربوا. ورأى الجغرافي "بليينوس الاكبر" ان الحدود الجغرافية للامبراطورية الرومانية تقف حيث تنتهي طرق المواصلات الى فواصل طبيعية، نهريّة او بحرية.

ويفيد الدارسون ان مراكز القوى توزعت خلال ثلاثة آلاف سنة بين الشرق الاوسط واوربوا في المواقع الآتية مصر، العراق، فارس، اليونان، روما، قرطاجة، بيزنطة، دمشق، إستانا إسبانيا البرتغال، فرنسا، انجلترا، هولندا، المانيا. اي ان هذه المراكز توزعت في حوض البحر الابيض المتوسط، حيث شكلت المنطقة العربية موقعا مميزا بينها، وتكون هذه المراكز في مجموعها العالم ذي الاهمية.

¹- محمد رياض: مرجع سابق، ص 54.

²- المرجع نفسه، ص 55.

المحور الثاني: الفكر الجيواستراتيجي الاسلامي

برع المسلمون خلال العصور الوسطى بعلوم الجغرافيا وفروعها المتعددة، كلجغرافيا الفلكية والوصفية ورسم الخرائط، واسسوا اقواعد علمية جديدة في هذا الشأن، ومن أشهر العلماء الجغرافيين نجد:

ابن حوقل: رحالة وجغرافي في القرن العاشر، تنقل في العالم الاسلامي بين بلاد الهند واسبانيا خلال ثلاثون سنة، ووضع كتاب " صورة الارض " الجامع لمشاهداته ودراساته.

المقدسي: الواضع كتاب " احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " في القرن العاشر، وقد تضمن ذكر الاقاليم الاسلامية وما فيها، وحددها باربعة عشر إقليما وقام بدراستها طبيعيا وحضاريا.

ابن بطوطة: جاب البر والبحر، وقطع المسافات الطويلة التي قدرت بـ 120 الف كلم، وصف حالة المجتمع الاسلامي في الـ 14، اضافة الى واقعه الجغرافي.

عبد الرحمن بن خلدون: الذي اشتهر عند الأوروبيون واعترفوا له بأنه أول مؤسس للدراسات الجغرافية وميدانها، فلم يكن منهجه البحثي في علم الجغرافيا مقيد بالاحتم الصارم، فقد أضاف كم كبير من المعطيات إلى الفكر الجيواستراتيجي في مقدمته المشهورة، كما انه مخطط الاطار العلمي العام الذي عرف من بعده بفكرة "دورة حياة الدولة"، كما شرح وفسر عوامل قيام الدولة وهرمها وسقوطها.

ابو عبد الله محمد بن محمد بن ادريس: ولد عام 1099م وتوفي عام 1166م، ويعتبر من ابرز علماء الجغرافيا المسلمين، فقد ألف كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الافاق " تكلم فيه عن الجغرافيا العالمية، كما ترجم كتابه الى اللغة اللاتينية، وقد خدم الادريسي لدى الملك رزجر الثاني ملك صقلية، وعمل كذلك مع الملك في باليرمو، و الاكثر من ذلك انه استطاع حساب محيط الارض بدقة متناهية فقدره بحوالي 37.014.912 كم، في حين ان القياسات الحديثة بالاقمار الصناعية قدرت بـ 40.075.160 كلم، وهذا يظهر الدقة المتناهية والقدرة الكبيرة للادريسي على التصور والقياس الجغرافي.¹

¹- ابي عبد الله محمد بن محمد بن ادريس: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المجلد الاول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 5.

يقول الفيلسوف الأمريكي "ول ديورانت-Will Durant" عن الخرائط التي رسمها الإدريسي: "وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى، لم ترسم قبلها خرائط أتم منها، أو أدق، أو أوسع وأعظم تفصيلاً. وكان الإدريسي يجزم كما تجزم الكثرة الغالبة من علماء المسلمين بكريّة الأرض، ويرى أن هذه حقيقة مُسلم بصحتها".¹

اهتم المسلمون بدراسة المدن بصورة تفصيلية، وتركزت أعمالهم على منهجين هما: دراسة المدن من الخارج ودراستها من الداخل. وهم أول من تحدث عن ظاهرتي تآكل الجبال وارتفاع الوديان، وقسمت النظرة الإسلامية العالم الشمالي من الأرض إلى قسمين رئيسيين هما: أوروبا في الشمال وآسيا وأفريقيا في الجنوب، واعتبرت هاتين الأخيرتين بمثابة كتلة واحدة. فكان العالم الإسلامي في معظمه جنوب وشرق البحر المتوسط، وكان العالم النصراني الأوروبي شمال هذا البحر - باستثناء مرحلة وصول المسلمون بلاد الأندلس وكانت روما مركز القارة الأوروبية والبحر المتوسط، وكانت دمشق ثم بغداد مركز العالم الأفرو-آسيوي والمحيط الهندي.

قلب هذه الكتلة هو المنطقة الإسلامية بين جبال طوروس وهضبة أرمينيا وجبال القوقاز وبحر قزوين شمالاً، وبين بحر العرب وبلوشستان في الجنوب واطراف السند وخوراسان وما بين النهرين شرقاً، والحلقة الخارجية للقلب أو ما يسمى بالعالم الإسلامي كانت تمتد غرباً إلى إسبانيا وغرب أفريقيا وشرقاً إلى الهند وتركستان، وجنوباً إلى موريطانيا وسواحل أفريقيا الشرقية.

بعد حركة الكشوف البحرية للأوروبيين وخاصة الأسبان والبرتغاليين، تحول مراكز القوى إلى الهامش الأوروبي الغربي في البرتغال وإسبانيا وهولندا وفرنسا وبريطانيا، فتراجعت أهمية موقع القلب العربي والكتلة الإسلامية ليتقدم الموقع الأوروبي الغربي ومعه أفكار السيطرة البحرية. فكانت الأفكار الإسلامية في حقل الجغرافيا السياسية مصوبة نحو التمكن من الضفر بالسيادة على مراكز القوى القارية عبر توسيع الحركة التجارية عبر البحر والبر. لتفادي ذلك من خلال تجسيد هذه الأفكار إلى حد فكرة المواجهة السياسية والعنف الحربي، بالرغم من وجود قوة عسكرية قادرة على الدفاع.

¹- قاسم الجوّاري : العناصر الأساسية للخريطة عند الشريف الإدريسي، مجلة التربية و العلم، المجلد 19، العدد5، العراق، 2012، ص356.

الجيواستراتيجية من منظور المدرسة الالمانية

فريدريك راتزل

الدول ككائنات حية في المدى المكاني (الجغرافي)

المدرسة "العضوية" الألمانية:

المحور الاول: سيرة العالم

يمكن اعتبار (فريدريك راتزل) (1844-1904) "اب الجغرافيا السياسية ورائد الجيوستراتيجيا". بالرغم انه لم يستخدم ذلك المصطلح في اعماله. فقد كتب عن (الجغرافيا السياسية) وسميت دراسته الالهة. التي رات النور عام 1897 بـ: *politische geographie*.¹

انها راتزل جامعة البوليتكنيك في كارلسروه (Karlsruhe). حيث استمع الى محاضرات الجيولوجيا و الباليوتولوجيا (علم الحفريات القديمة) وعلم زوولوجيا (علم الحيوانات)، وأكمل دراسته في هايدلبرغ حيث تتلمذ على يد البروفيسور ايرنست غيكل (الذي كان اول من استخدم مصطلح علم البيئة) وقد بنيت الرؤية الفكرية لراتزل على التطورية والداروينية واصطبغت باهتمامه المعبر عنه بوضوح نحو علم الحياة.

عام 1876 يناقش راتزل اطروحته حول "الهجرة في الصين"، في سنة 1882 تصدر دراسته " الانتروبوجغرافيا Antropogeographie. والتي يصوغ فيها افكاره الأساسية حول العلاقة بين تطور الشعوب والديمقراطية وبين المعطيات الجغرافية، وتأثير التضاريس المكاني على التكوين الثقافي والسياسي للشعوب وما الى ذلك، إلا ان كتابه الاكثر اهمية هو (الجغرافيا السياسية).

وضح راتزل أهمية الجيوستراتيجيا في توضيح الالهية والترابط الشديد في العلاقة بين الفضاء الجغرافي للدولة وتطور قوتها، حيث اعتبرها عضوا حيا منشغل بالتنافس والصراع من أجل البقاء ضد الدول الأخرى التي تسعى الى تحقيق نفس الهدف (التفسير الجيوستراتيجي)، فقد كان متأثرا بالداروينية. في رأيه، ان فكرة توسع الدولة في المجال الجغرافي امر حتمي وطبيعي وإلا ستضعف ثم الموت، وفي مظهره الدارويني الاجتماعي، مجد الدولة الألمانية باعتبار الأمة الألمانية وارضها تقع على راس الأراضي والأمم الأخرى، ما يستلزم عليها التوسع وبناء قوتها على حساب الكائنات العضوية الأخرى لكي تجد لنفسها مجالا حيويا للعيش والتطور.

¹ - الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 75.

انطلاقاً من أفكار داروين في التطور البيولوجي، اطر راتزل افكاره الجيواستراتيجية لتحليل قوة الدولة، وأكد على أن حدود الفضاء الجغرافي للدولة غير ثابتة، فطبيعة الدولة عنده شبيهة بالإنسان، فهو ينمو فتضيق عليه ملابسه بالتطور فيضطر إلى توسيعها، وعليه تضطر الدولة إلى تغيير حدودها السياسية كلما ازداد عدد سكانها وتعاظمت قوتها و مطامحها، كما ان راتزل قد تأثر بفكرة الحتم البيئي القائمة على ان نشاط الإنسان تخضع لقواعد الطبيعية وقوانينها بما في ذلك نشاطه السياسي، فالدولة كائن حي يرتبط مصيره بالمجال الأرضي، ومن اجل الاستمرار لابد من توسيع هذا المجال الجغرافي حتى ولو باستخدام القوة العسكرية، فهي ان لم تتوسع فستنهار، فكانت كتاباته بمثابة تبرير مرحب بالتوسع الإمبراطوري.

المحور الثاني: الدول ككائنات حية عند راتزل

بين راتزل في دراسته هذه ان التربة هي المعطر المؤسس الوطيد الذي تدور حوله مصالح الشعوب. و حركة التاريخ محددة مسبقا بالتربة والأرض، وتلي ذلك نتيجة يستخلصها المؤلف على اساس التطور و هي ان (الدولة كائن حي)، إلا انه كائن (متجذر في التربة)، فالدولة تتكون من السطح الأرضي البعد المساحي و من وعي الشعب لهما، و على هذا ينعكس في الدولة المعطى الجغرافي الموضوعي و الوعي الذاتي القومي العام لهذا المعطى، و الذي يتم التعبير عنه بالسياسة ، و يرى راتزل ان الدولة (الطبيعية) هي التي تجمع بصفة عضوية بين الكميات المتغيرة للامة الجغرافية منها و الديمغرافيا والاثنوثقافية.¹

يكتب ألكسندر في كتابه: " ينظر الى الدول خلال كل مراحل تطورها على انها كائنات عضوية تحافظ بفعل الضرورة على علاقاتها بتربة أرضها ولهذا يجب ان تدرس من وجهة النظر الجغرافية وعلى نحو ما تظهر الاثنوغرافيا والتاريخ فان الدول تتطور على قاعدة تتفاعل معها وتذوب بها أكثر فأكثر وتستخلص منها كميات من الطاقة أكثر وأكثر ولهذا فان الدول تبدو ظواهر منكائية يوجهها ويحييها هذا المكان ويجب ان تقوم الجغرافيا بوصفها ومقارنتها وقياسها وتدخل الدول في سلسلة ظواهر تتطور الحياة لتغدوا الذروة العليا لهذه الظواهر. (الجغرافيا السياسية).²

¹ - ألكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 76.

² - المرجع نفسه، ص 77.

من هذه النظرة (العضوية) يتضح بجلاء ان راتزل يفهم التطور الزاحف للدولة على انه عملية طبيعية حية، شبيهة بنمو الكائنات الحية. وهذا المعنى يكون راتزل الوريث المباشر لمجموع مدرسة السوسيولوجيا (العضوية) الالمانية.

تتشكل الدولة مثل كائن حي مرتبط بجزء محدد من سطح الارض وتتطور سماتها طبقا لسمات الشعب والتربة، اما السمات الالهة في الأبعاد ومكان التوضع والحدود، تلي ذلك انماك التربة مضافة الى نوعية النبات والري واخيرا العلاقة مع بقية خلائط السطح الأرضي وبالدرجة الاولى مع البحار المتاخمة والاراضي غير المأهولة التي لا تمثل - للوهلة الاولى - اهمية استراتيجية خاصة.¹

ان باجتماع هذه السمة يكون البلاد (Das Land)، ولكن عندما يتناول الكلام (بلادنا) يضاف الى ذلك كل ما قام الانسان بابداعه وكل ما يرتبط بالارض من ذكريات، وهكذا فان المفهوم الذي هو في صورته الاولى جغرافي صرف يتحول الى علاقة روحية عاطفية بين سكان البلاد وتاريخهم، فالدولة جهاز حي، ليس لأنها فقط تستنق حياة الشعب فوق تربة ثابتة، بل لان هذه العلاقة التبادلية تتقوى بصورة متبادلة لتغدو شيئا ما متوحدا لا يمكن تصويره بمعزل عن واحد من مكوناته الاثنين. والاماد غير المأهولة غير القادرة على اطعام الدولة هي ارض تاريخية مراح، اما الاراضي المأهولة فهي، على العكس من ذلك، تساعد على تطوير الدولة وبخاصة إذا كانت هطه الاماد مطوقة بحدود طبيعية، وعندما يحس الشعب بانه على ارضه بصورة طبيعية فانه يقوم وبصفة مستمرة باعادة انتاج نفس السمة التي تنبثق من التربة، وتكون هذه السمة مرقونة فيها.

المحور الرابع: قانون التوسع الجيواستراتيجي

حسب المنظور الجيواستراتيجي الالمانى الراتزلي، فالدولة جهاز حي افترضت الانصراف عن فكرة (حصانة الحدود)، وعلى هذا فان توسعها وتقلصها المكاني عمليتان طبيعيتان مرتبطتان بدورها الحياتية الداخلية، وفي كتابه (حول قوانين تطور الدولة في المجال) حدد راتزل سبعة قوانين للتوسع:²

¹ - Semra Ran Gokmen: Op.Cit, p23.

² - Roger E. Kasperson & Julian V. Minghi : Op.Cit, p28.

- 1- امتداد الدولة يتسع وفقا لتطور ثقافتها، وإن رقعة الدولة تزداد بنمو الثقافة وانتشارها بانتشار السكان وحملوا معهم طابعا ثقافيا خاصا فإن الأراضي الجديدة التي يحتلها هؤلاء تزيد من مساحة الدولة.
- 2- توسع الدولة في المدى المكاني يترافق مع المظاهر الأخرى لتطورها: في ميادين الأديولوجيا، الانتاج، النشاط التجاري، فإن نمو الدولة عملية لاحقة لمختلف مظاهر نمو سكانها، وذلك النمو الذي يجب أن يتم قبل أن تبدأ الدولة في التوسع.
- 3- تتوسع الدولة من خلال ابتلاعها للوحدات السياسية الثانوية الأهمية. بمعنى أن نمو الدولة يستمر حتى تصل إلى مرحلة الضم، وذلك بإضافة وحدات صغرى إليها.
- 4- الحدود: هي جهاز متوضع على أطراف الدولة، التي تفهم على أنها جهاز حي. بحيث أن الحدود لا تعين مدى ضمان سلامة الدولة فحسب، بل إنها تعين أيضا مدى نموها.
- 5- إن الدولة في نموها تسعى إلى امتصاص الأقسام ذات القيمة السياسية، بحيث عندما تقوم الدولة بتحقيق توسعها في المدى المكاني تحاول الاستيلاء على المناطق الأكثر أهمية بالنسبة لتطورها: الضفاف الأنهار الوديان... وعلى العموم جميع المناطق الغنية بالثروات الطبيعية الغنية وذات قيمة حيوية كبرى.
- 6- الباعث على التوسع يأتي من الخارج، إذ أن الدولة تثار للتوسع على حساب الدولة (الأراضي) ذات الحضارة الأدنى. ومعنى هذا أن الدول الكبرى ذات الثقافة تحمل أفكارها إلى الجماعات البدائية التي تدفعها زيادة عدد السكان نحو الشعور بالحاجة إلى التوسع.
- 7- الميل العام نحو صهر الأمم الأضعف وتمثلها يدفع إلى المزيد من توسيع المساحة (الفضاء الجغرافي) في حركة مستمرة للضم والانتشار.

وسع راتزل القانون السابع فقال إن (هذا الكوكب الصغير لا يتسع إلا لدولة عظيمه واحدة) وذكر أن استغلال الفضاءات الجغرافية الكبيرة ستكون أهم ظاهرة سياسية في القرن العشرين، وأكد على أن تاريخ العالم ستتحكم فيه الدول الكبيرة المساحة كروسيا في أوراسيا والولايات

المتحدة في أمريكا الشمالية، ومنذ البدء يمكن تحديد ثلاث مصادر رئيسية ذات عمق جيواستراتيجي للصراعات وهي¹:

أولاً، الصراع من أجل السيطرة على الموارد.

ثانياً، الصراع من أجل السيطرة على المناطق الجغرافية.

ثالثاً، الصراع من أجل الهيمنة الأيديولوجية والعرقية والوطنية.

ولتوضيح العلاقة بين مصادر الصراع الثلاث نقول إن الاستيلاء على الموارد أو التحكم بها يستدعي الاستيلاء على المناطق الجغرافية أو التحكم بها، ولكي يتم الاستيلاء والتحكم بالمناطق الجغرافية الاستراتيجية التي تحتوي على الموارد، لابد من السيطرة الثقافية والأيديولوجية لكي مبرراً على عقلانية القتال والكفاح وتشرع الحرب والغزو.

أما الصراع من أجل بسط الهيمنة الأيديولوجية الإثنية والقومية، فإنه مرتكز على الترويج لهوية رمزية تجعل سكان الفضاء الجغرافي المستهدف منتبهاً لمجموعة جغرافية من الأفكار ويجعل إيمانه بتلك الهوية يسعى إلى بسط نفوذه، لأن الأيديولوجية تصوره على أنه الأحسن والأرقى أو بأن شعبه شعب مختار أو ينتمي لعرق مقدس². كما أن الصراع الأيديولوجي يغطي في الحقيقة المصالح النهائية التي تسعى إليها تحقيقها الدول من خلال وضع الإستراتيجيات المتعلقة بالهوية والرمزية الوطنية التي تشمل "النوستالجيا" يغزوها تذكراً للأراضي القديمة التي كانت تنتمي للأمة وتتأسف على فقدانها، وكذلك التوق إلى محاولة استرجاعها أو الحصول على أراضي جديدة تقع تحت سيطرة الوحدات المجاورة أو غيرها.

بات ظاهراً أن للحدود وظيفة سياسية، فهي تعكس مدى المحافظة الدولة على سيادتها، فالحدود الجغرافية - المصطنعة أو الوهمية- تتطور وتتبدل على عكس الحدود الطبيعية كالأنهار والتخوم لا تتغير، وتصبح الفواصل الطبيعية سياسية عندما تصبح حدوداً فعلية تفصل بين منطقتين أو أكثر فهي غالباً ما تكون محل صراع، فقد ينظر إليها على أنها فواصل طبيعية وقد

¹ - SEMRA : op.cit. p34.

² - ضياء عبد المحسن محمد: الجغرافيا البوليتيكية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص34.

تسعى دولة ما إلى تجاوزها عندما أقلية إثنية ما تابعة لتلك الدولة مقيمة فيما وراء التّخوم، في هذه الحال تنظر الدّولة إلى التّخوم في إطار إثنيّ ثقافي وتغفل المعايير والعوامل الجغرافية الطبيعية.

لقد كان أدولف هتلر أوّل من استعمل افكار راتزل وعمل على تطبيقها كأساس لتوجهات الجيواستراتيجية الألمانية، التي تبنت فكرة توسيع المجال الحيوي من أجل العيش، في هذه الأثناء كانت ألمانيا تعيش بعد الهزيمة التي منيت بها في الحرب العالمية الأولى في انتكاسة قومية بسبب ما اقتطع منها من أراض كإجراءات عقابية لها من قبل المنتصرين، وتقسيم مستعمراتها بين إنجلترا وفرنسا¹، وضرب حصار عسكري ومالي عليها، كما تم استخدام نتائج بحث الجغرافيا التاريخية والآثار لتقديم معطيات عن حق ألمانيا في فرض سيادتها على أراض تبعد عنها مسافات بعيدة شرق أوروبا، وقد تجلّى ذلك فيما اتخذه هتلر من خطوات بعد الوصول إلى موقع القرار في ألمانيا.

المحور الخامس: راتزل - جيواستراتيجية البحر والقوة العالمية:

مما ترك اثره في نفس راتزل وإلى حدود ملموسة، تعرفه على امريكا الشمالية التي درسها جيدا، فقد كرس لها كتابين "خرائط مدن الشمال الأمريكي وحضاراته" 1874، و " الولايات المتحدة الأمريكية الشمالية" 1878-1880، فقد اشار الى الاحساس بالمدى متطور الى ابعد الحدود²، لأنهم كانوا قد وضعوا امام مهمة غزو الاماد (المناطق الخالية)، بينما كانت وراء ظهورهم التجربة الجيوسياسية للتاريخ الأوروبي و بناء على ذلك انجز الأمريكيون بطريقة واعية، الشيء الذي كان العالم القديم قد توصل إليه وقد لاحظ راتزل ان الدول الكبرى تعيش خلال تفوقها الجيواستراتيجي نزع من الاحساس برغبة التوسع الجغرافي الى ابعد الحدود، بالغا بالتدرج الى مستوى الكرة الارضية.

بناء على ذلك، كان على التطور الجغرافي ان يصل عاجلا ام اجلا الى طوره العابر للقارات، وباستخدام هذا المبدأ المستنبط من التجربة الأمريكية للتوحيد السياسي والاستراتيجي للآماد القارية مطبقا على ألمانيا، كان راتزل قد تنبأ لها بمصير الدولة العظمى القارية. كما انه كان سباقا الى موضوع اخر من موضوعات الجيواستراتيجية، ففي كتابه " البحر مصدر قوة الشعوب" 1900،

¹ - Wickham Steed: *From Frederic the Great to Hitler: The Consistency of German Aims*, International Affairs, Vol. 17, No. 5, 1938, pp. 655-681;

² - الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 79.

اشار الى ضرورة ان تقوم كل دولة عظمى بتطوير قواتها البحرية الحربية. وما حققته بعض الدول كإنجلترا وإسبانيا وهولندا وما الى ذلك بطريقة عفوية - يجب على الدول البرية العظمى ان تحققه بوعيمها، فتطوير الاسطول هو الشرط اللازم للاقتراب من وضع (Weltmacht).¹ البحر والدولة العالمية العظمى، متلازمان لدى راتزل على الرغم من ان هذا الموضوع سيكتسب لدا الخبراء الجيوبوليتيكا والجيواستراتيجيا المتأخرين (ماهان، ماكندر، هاوسهوفر، وشميدت بشكل خاص) صيغته النهائية ومركزيته.

¹ - Mark BASSIN : *Imperialism and the nation state in Friedrich Ratzel's Political Goegraphy*, Department of Geography, University of Wisconsin, USA, Vol1, 1987, p 476.

المحاضرة الرابعة

الفكر الجيواستراتيجي البريطاني

هالفورد جون ماكيندر - Halford John Makinder

المحور الجغرافي للتاريخ

The Geographical Pivot of History

المحور الاول: سيرة العالم والسياسي

هالفورد ج. ماكيندر - Halford John Makinder (1861-1947)، يعتبر الشخصية الأكثر تألقاً بين علماء الجيواستراتيجية والجيوبوليتيكا، فبعد ان انهى دراساته في علم الجغرافيا، اخذ منذ عام 1887 يعمل في التدريس في اوكسفورد الى ان عين مديراً للمدرسة الاقتصادية في لندن، و اصبحت بين 1910-1922 عضو مجلس العموم، و كان بين 1919-1920 الموفد البريطاني الى روسيا الجنوبية.¹

يشتهر ماكيندر بمركزه الشهير في عالم السياسة الانجليزية تاركاً أثره الكبير على توجهاتها العالمية، وفضلاً عن ذلك بكونه صاحب الافكار الأكثر تقدماً وظهوراً بين المخططات التأويل السياسي لتاريخ العالم، فتميز بذلك على مدار نصف قرن تقريباً بمشاركاته المؤثرة في بناء الاستراتيجية البريطانية المرتبطة بقضايا الدولية من منطلق تفسيره للتاريخ السياسي والجغرافي للعالم، مما زاد من أهمية الجيواستراتيجية وفعاليتها كمنظومة علمية.

المحور الثاني: المحور الجغرافي للتاريخ ونظرية قلب العالم

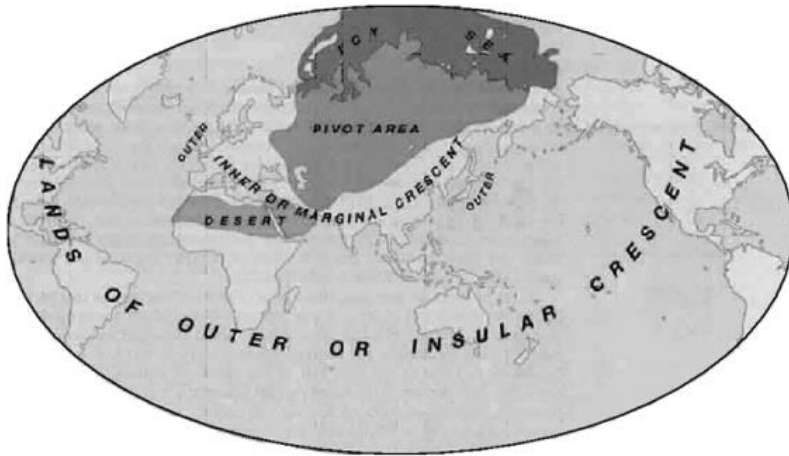
كان أول أعمال ماكيندر وأهمها تقريره حول (المحور الجغرافي للتاريخ)، الذي نشر عام 1904 في (المجلة الجغرافية)، وفيه عرض أساس رؤيته للتاريخ والجغرافيا. تلك الرؤية التي طورها

¹ - الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 85.

في أعماله التي تلت، كما كان أول من وضع تصورا حول كيفية التفكير في العالم ككيان سياسي وفضاء جغرافي واحد قابل للسيطرة، فقد قدم ماكندر مفهوم لمصطلح " قلب العالم" ليفسر لانجلترا ضرورة دراسة التوسع الروسي باتجاه منطقة الخليج العربي، في وقت كانت روسيا تعزز بشدة نظام القوة البرية للوقوف في وجه بريطانيا كقوة بحرية، وهذا يمنح مزايا حاسمة في جزيرة العالم.

يعتقد ماكندر بأن الموقع الجيوستراتيجي الانفع لكل للدولة هو حلول المكانة المركزية للمحور الجغرافي، وبما ان السياقات الجغرافية تندسم بالتغير فيصبح هذا المفهوم نسبي وغير ثابت، إلا أن القارة الأوراسية من وجهة النظر الكونية تقع في مركز العالم ويقع في مركزها قلب العالم، فهو يشير الى منطقة أوراسيا، وهذا المحور الجغرافي يعتبر الأكثر مواءمة لفرض السيادة على العالم بأسره.

"Heart Land" هي المنطقة الأكثر أهمية في السياق الأعم ضمن الفضاء الجغرافي لحدود الجزيرة العالمية. ويدخل ماكيندر في الجزيرة العالمية آسيا وأفريقيا وأوروبا¹، وعلى هذا يقوم ماكيندر بتدريج المدى الكوني عبر نظام الدوائر المتحدة المركز، وفي الوسط بالذات يقوم المحور الجغرافي للتاريخ أو (المنطقية المحورية) (Pivote area)، وذلك الواقع (المحوري) يسمى ال Heart Land أي (القلب الأرض).



خريطة: المحور الجغرافي للتاريخ - المنطقة المحورية - لجون هالفورد ماكيندر

¹ - SEMRA : op.cit. p30.

المحور الثالث: نظرية قلب العالم: الحدود والمميزات

تعتبر نظرية "قلب الأرض" الجيواستراتيجية، حساسة ومهمة للغاية، فقد حملت في طياتها ادات للتحكم والسيطرة على العالم بأسره، وذلك -حسب ماكندر- بالتحكم في قلبه، فمثل ذلك يكون ان اساس حياة الإنسان هو قلبه، فنفس الامر جغرافيا العالم، باعتبار أن التاريخ السياسي للعالم قائم على المنافسة والصراع المستمر للسيطرة على العالم سعيا لتحقيق تفوق جيواستراتيجي بين القوى القارية البرية والقوى البحرية.

قدم ماكندر من خلال هذه النظرية المختصة بالتحليل الجيواستراتيجي لمجالات الصراع بين القوى الكبرى، وفسر طبيعة منظوراتها إلى العالم، وربط بين المجالات الجغرافية الكبرى وطبيعة المواقع، فقد شكلت هذه النظرية البوصلة الحقيقية بالنسبة للسياسات الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى، والإستراتيجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، بحيث وجد أن مسطحات الماء تشغل ثلاثة أرباع مساحة العالم، بينما اليابسة تشغل ربع مساحتها فقط، كما وجد أن قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) تشغل ثلثي مساحة اليابسة الكلية، ويسكن هذه القارات الثلاث نحو 90 % من سكان المعمورة، بينما لا يسكن القارات الأخرى سوى 10 %، واطلق تسمية " جزيرة العالم The World Island " على قارات العالم القديم الثلاث واعتبرها قارة واحدة، كما رأى بأن¹:

- 1- من يتحكم بمنطقة القلب يتحكم في جزيرة العالم.
- 2- من يسيطر على جزيرة العالم يسود العالم كله.
- 3- الماء يشغل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية واليابسة تشغل الربع المتبقي. قارات العالم القديم الثلاث (آسيا إفريقيا، أوروبا) تشكل ثلث مساحة اليابسة، ويسكنها تسعون في المائة من سكان العالم.
- 4- أن أي قوة بحرية لن تقف في وجه القوة البرية، بحكم أن الأخيرة ستكون مهيمنة على هوامش الجزيرة العالمية بما في ذلك القواعد البحرية.

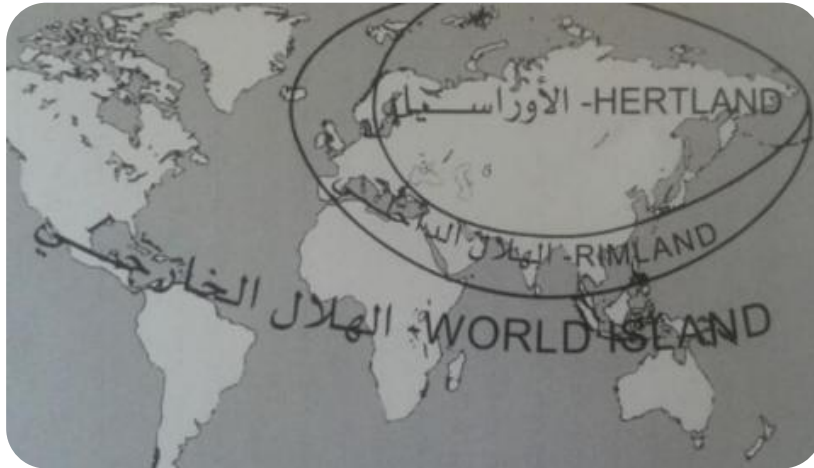
¹ - SEMRA : op.cit. p32.

5- أن القوة البرية بما لها من إمكانات بشرية وموارد طبيعية ستكون في مركز أقوى يمكنها من غزو أية قارة أخرى وفرض السيطرة.

6- الدولة التي تسيطر على قلب العالم ستكون هي القوة العظمى، لأنها ستكون بمنأى عن أي هجوم باستثناء الغرب، تتمتع هذه الدولة بأمانٍ كافٍ، يجعلها تستغل مواردها وإمكاناتها بشكل كبير بحيث تصبح دولة متقدمة في كافة المجالات وتتحول إلى قوة اقتصادية كبيرة، كما تستطيع بناء قوة عسكرية كبيرة قادرة على الزحف في كل الاتجاهات.

بالتالي يرى ماكندر أن "السيطرة على جزيرة العالم لن تتحقق من دون السيطرة على قلب هذا العالم".

الهلال الداخلي والهلال الخارجي المحيط بقلب العالم:



المحور الرابع: الهلال الداخلي او الحدي والهلال الخارجي

اولا: الهلال الداخلي او الحدي

هو طوق الفضاء الجغرافي المتطابق مع مجالات الحافة في القارة الأوراسية، يمثل وفقا لنظرية ماكيندر منطقة حضارة وثقافة، وذات تطور أكثر كثافة، وهو ما يتفق والفرضية القائلة بان الحضارة ظهرت لأول مرة على ضفاف الانهار والبحار. ينبغي الاشارة الى ان هذه النظرية تمثل

لحظة جوهريّة بالنسبة لجميع النظم الجيواستراتيجية والجيوسياسية، فالتقاطع بين المدارات المائية والبرية يمثل عاملاً أساسياً في تاريخ الشعوب و الدول.¹

ينضم الى هذا الهلال المناطق كل من الساحلية الأوروبية، شبه الجزيرة العربية والصحراء العربية الكبرى، الهند وجنوب شرق و غرب آسيا، الهند و جزء من الصين)، يتميز هذا الهلال بأنهاره الصالحة للملاحة و التجارة، يقع وراء قلب العالم، وينفصل عنه بمجموعة من العوائق الطبيعية.

ثانياً: الهلال الخارجي

الهلال الخارجي أو الجزيري هي المنطقة الخارجية بصيغة كلية (من الناحية الجغرافية والثقافية) بالنسبة للجزيرة العالمية. الهلال الخارجي، يتكون من الأمريكيتين، كندا وجنوب الصحراء العربية الكبرى، جنوب إفريقيا أستراليا وبريطانيا واليابان، ويشكل هذا الهلال نطاق القوة البحرية الضخمة، كما يرى ماكيندران مسيرة التاريخ محكومته بالعمليات التالية: من مركز القلب وباتجاه الاطراف يجري الضغط المستمر لمن يسمون بـ "قراصنة البر"، وهو ما تجسد بالصورة الأكثر وضوحاً في الغزوات المنغولية.

ومن الخارج مناطق "الهلال الجزيري" يتحقق ضغط ما يسمى بـ "قراصنة البحر" أو "سكان الجزر" على الجزيرة العالمية، الحملات الاستعمارية المنطلقة من خارج المركز الاوراسي والتي تحاول ان توازن فيهما بين الدفعات البرية المنطلقة من التخوم الداخليه للقارة، و من مميزات حضارة "الهلال الخارجي" الطابع التجاري و"الصيغ الديمقراطية الغربية" للسياسة. وفي العهود القديمة كانت اثينا وقرطاج تتسمان بمثل هذا الطابع.

يرى ماكيندر أن المهمة الأولى الجيواستراتيجية البريطانية هي الحيلولة دون تشكل الاستراتيجية القاري حول (قلب العالم)، وعليه فان استراتيجية قوى الهلال الخارجي تتمثل في انتزاع أكبر قدر ممكن من الأماد الشاطئية من الـ Heart land ووضعها تحت سيطرة "الحضارة الجزيرية".

¹ - ألكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 85.

الفكر الجيواستراتيجي الفرنسي

- الامكانية الجغرافية - Possibilisme -

ب.م.ج فيدال دي لابلان - Paul Marie Joseph Vidal de La Blache

المحور الاول: سيرة العالم

يعد فيدال دي لابلان (01/22/1845 - 05/04/1918) مؤسس المدرسة الجغرافية الفرنسية، كان ذلك الجغرافي المتخصص منجذبا الى جغرافية " راتزل " "السياسية"، وكان يبني نظرياته معتمدا على ذلك المصدر، على الرغم من ان الكثير من افاق المدرسة الجيواستراتيجية الالمانية كانت عرضة لانتقاداته الشديدة.¹

كان فيدال أول جغرافي شغل منصب أستاذ الجغرافيا بجامعة السوربون عام 1898، وقد نشر افكاره وآرائه في مجلة حوليات الجغرافيا، كما كان قد بدأ في تصنيف كتاب بعنوان "الجغرافيا البشرية"، إلا أنه توفي قبل إتمامه فقام بإكماله زوج ابنته إيمانويل دي مارتون فيما بعد، ولابلان صاحب نظرة جيواستراتيجية خاصة، توازن بين الجغرافيا الطبيعية الاستراتيجية والبشرية، وتوصف هذه النظرة بالمدرسة الفيدرالية، فالبحوث التي أجراها عن العلاقات المتبادلة بين الناس وبيئتهم المادية جعلت منه مؤسس الجغرافية البشرية الفرنسية، بإقراره بأن دور البشر في فضائهم الجغرافي ليس ساكنا، بل بإمكانهم التأثير بيئتهم من أجل تحقيق أهدافهم وغاياتهم الخاصة.

في كتابه "لوحة جغرافية فرنسا" (1903)، يتوجه نحو نظرية التربة ذات الالهية المميزة بالنسبة لعلماء الجيوبوليتيكا والجيواستراتيجيا الالمان على الخصوص بقوله:

¹ - الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 102.

" العلاقة بين التربة والانسان موسومة في فرنسا بالطابع المتميز للقدم والتواصل...، فكثيرا ما يستوقف انتباهنا ان الناس في بلادنا يعيشون في الاماكن نفسها منذ اقدم العصور، فالينابيع والصخور الكلسية اجتذبت البشر منذ البداية كماكن ملائمة للعيش والاحتماء، الانسان عندنا تلميذ التربة الوفي، ودراسة التربة تساعد على توضيح طباع السكان وامزجتهم واولوياتهم." قوله¹

لكن بغض النظر عن هذه مثل هذه النظرة - الالمانية تماما - الى العامل الجغرافي وتأثيره على الثقافة، فقد كان فيدال دي لابلاش يرى ان راتزل ومعتنقي افكاره قد تجاوزو بشكل ظاهر في تقييم العامل الطبيعي اذ يعدونه عاملا محددا، ذلك ان الانسان في رأي فيدال يعد بدوره "عاملا جغرافيا مهما" إلا انه فوق ذلك "مميز بالمبادرة"، فهو ليس جزءا من الديكور فقط، بل هو الممثل الاهم في المسرحية، فجعل بذلك من الجغرافيا البشرية اهم جزء لفهم محدد مهم من محددات التحليل الجيواستراتيجي.

المحور الثاني: البوسيبيليزم (الامكانية):

هذا الانتقاد للتهويل المتعظم للعامل المكاني عند راتزيل دفع فيدال دي لابلاش الى طرح نظرية جيوسياسية خاصة هي "البوسيبيليزم"، من مصطلح (Possible) وتعني (الممكن)، انطلاقا من هذه النظرية افقن - مكاني (جغرافي) و زمني (تاريخي)، ويتجلى العامل الجغرافي في وسط المحيط الجغرافي والتاريخي في الفرد نفسه صاحب السبق، ورأى فيدال ان زلة الجغرافيين الالمان يعود الى كونهم يعدون الفضاء الجغرافي عاملا حاسما من التاريخ السياسي والتحليل الجيواستراتيجي للدول، وبهذا ينتقض برأي دي لابلاش على عاملين: الحرية الإنسانية والعامل التاريخي، اما هو فيقترح النظر الى الوضع المكاني الجغرافي على انه "احتمال" او "إمكانية يمكن ان تفعل لتغدو عاملا سياسيا حقيقيا، ويمكن ان لا تفعل، وهذا ما يرتبط الى حدود بعيدة بالعامل الذاتي - الانسان ساكن ذلك المكان².

¹- Guilherme Ribeiro : *Question Regional, Identite National et Emergence du mond urbain-industriel, La modernité dans l'œuvre de Paul Vidal de La Balach*, Armand Colin, Annales de géographie, [France](#), 2014, pp 1217-1223.

²- ألكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 103.

أخذت هذه النظرية في الحسبان من طرف علماء مدرسة هاوسهوفر الجيوبوليتيكية الألمان الذين عدوا انتقاد فيدال راجحا مهما، وقد تنامي في هذه الحالة دور العامل الاثنى او العرقى اثناء النظر الى التاريخ السياسى للدول، وتناغم ذلك مع ظهور الاشكالية العرقية في ألمانيا فترة العشرينيات.

إذا يعد فيدال رائد نظرية الامكانية الجغرافية، التي تخرج الانسان من عبوديته لبيئته حيب ما رتاه المدرسة الحتمية، فبإمكانه الاختيار من بين مقدراتها ما يشاء تبعاً لمستواه الحضارى، ولذا فان انماط النشاط الاقتصادى على سطح الارض هي نتاج تفكير الانسان وجهوده وحركته الدائبة في اطار بيئته الطبيعية.

نشر لفيدال عام 1911 كتاب متميز حول جغرافية فرنسا البشرية، فصل فيه بالشرح جغرافية كل الاقاليم الفرنسية، وبين كيف ان الجهد البشرى لعب دورا هاما في تاريخ فرنسا واوروبا بأسرها، ما اثر على مظهر مجالها الجغرافى نتيجة لنشاطاته بمرور الوقت، كما رأى بان الجغرافيا البشرية هي دراسة المجتمعات الانسانية دراسة مقارنة، واتجه الى دراسة الفروقات بين تلك المجتمعات في ضوء تفسير وتحليل علاقتها بالبيئة.

و في كتابه عن مبادئ الجغرافيا البشرية 1925، درس فيدال كثافة وتوزيع السكان واشكال العمران ووسائل الانتاج والمواصلات، وذكر بان اهمية الدراسة يمكن تناولها لسببين جوهريين، بحيث يرج السبب الاول الى التوسع في المعارف البشرية الجغرافية حتى نهاية القرن التاسع عشر، وثانيهما يرجع الى الترابط المعقد بين الانسان وبيئته و من ثم توطد فكرة الارتباط الجغرافى-البشرى¹، وقد تجلى ذلك بوضوح في الافكار الجغرافية الحديثة التي تجمع على ان ظواهر الجغرافيا البشرية ترتبط في كل مكان بالبيئة وعناصرها الطبيعية، وهذا ما يؤكد عند فيدال مبدأ الوحدة الارضية كمبدأ اساسى في الجغرافيا، واستقبلت "البوسيبيليزم" دي لابلاش من طرف غالبية المدارس الجيوبوليتيكية في على انها تصحيح للحتمية الجغرافية الصارمة لدى من سبق من المختصين في الجيواستراتيجية.

¹ - vidal de lablache : (préface de Isabelle Lefort) *Principes de Géographie Humaine*, ENS Éditions, France, 2015, p33.

المحور الرابع: ايف لاکوست: الجيواستراتيجية والجيوسياسة الداخلية "

ترتبط اليقظة الجيواستراتيجية في أوروبا بنشاط العالم الجغرافي Yves Lacoste (1929/09/07)، الذي انشا عام 1976 مجلة "هيرودوت"، حيث صارت النصوص الجيواستراتيجية تصدر لأول مرة وبصورة دائمة في أوروبا ما بعد الحرب، وينبغي الإشارة بشكل خاص الى ان رجلا قريبا من الاوساط السياسية اليسارية كان يقف وراء هذا العمل، بينما لم تكن تهتم الجيواستراتيجية بمفهومها الواسع في أوروبا في تلك الفترة، الا الاوساط القومية اليمينية الهامشية الى حد كبير.¹

وفي عام 1983 تدخل مجلة "هيرودوت" في تسميتها عنوانا ثانويا هو "مجلة الجغرافيا والجيوبوليتيكا"، فتبدا منذ ذلك التاريخ الحياة الثانية للجيواستراتيجية والتي تم الاعتراف بها رسميا كمنظومة علمية سياسية خاصة تساعد على التحليل المتظافر الجوانب والاطلاع.²

حاول ايف لاکوست ان يكيف المبادئ الجيواستراتيجية مع الوضع المعاصر، فما كان يتفق و"المقاربة العضوية" الخاصة بالمدرسة الالمانية، ولا مع الاراء الجيواستراتيجية الالية النفعية المتعلقة بتطبيقية منظري "القوة البحرية"، وجميع التصورات الجيواستراتيجية ما كانت من وجهة نظره تعمل الا "لتحديد الطموحات التنافسية للهيئات السلطوية المتعلقة بمناطق محددة و بالبشر الذين يقطنونها"، ويتعلق هذا بالعلاقات الدولية مثلما يتعلق بالقضايا المحلية الضيقة الابعاد.

فالجيوسياسة والجيواستراتيجية عند لاکوست هي اداة لتحليل حالة محددة، وجميع النظريات الشمولية التي تتكون هذه المنظومة على اساسها توضع في مستوى المفاهيم النسبية والمشروطة تاريخا، وعلى هذا يقترح لاکوست تعريفا محددا بصفة كلية للجيوسياسة، بل، من الناحية الواقعية علما جديدا، انه لا يعود بعد ذلك تفكيرا قاريا يقوم على الثنائية الحضارية- الجغرافية الكونية الراسخة والمقتزنة بالنظم الايديولوجية الشمولية، بل يغدو استخداما لبعض الانماط المنهجية التي كانت قائمة لدى علماء الجيوسياسة التقليديين في سياقها العام، ولكن

¹- Yves Lacoste: *La géographie, La Géopolitique et le Raisonnement Géographique*, Hérodate revue, La Découverte, France, 2012, p14.

² - Ibid, p 15.

تؤخذ في هذه الحالة كثيرون مستقلاً ذاته، "لا عولمة الجيوسياسية"، الوصول إلى مستوى المنهج التحليلي الضيق. وسميت بـ "الجيوبوليتيكا الداخلية - La Geopolitique Intern"، لأن كل ما فيها تناول القضايا المحلية.

المحور الثاني: جيواستراتيجية الاعلام و "الميديا كراتيا":

من صور الجيوسياسية الداخلية تلك المنهجية الخاصة التي صيغت لدراسة العلاقات بين الميول السياسية للسكان والارض التي يعيشون فوقها، وكان المبرر لهذه النظرية الفرنسي "اندرية زيفريد (1875-1959) السياسي والجغرافي، واليه تعود المحاولات الاولى لدراسات الجيوسياسية/الجيواستراتيجية الداخلية في تطبيقها على الميول السياسية لهذه المناطق الجغرافية او تلك، واليه تعود الصياغات الاولى للقوانين المكونة في صلب "الجيواستراتيجية الاعلامية (الالكترونية)" لمدرسة ايف لاکوست الجديدة.¹

وقد كتب "زيفريد": "لكل حزب، او بكلم ادق، لكل اتجاه سياسي جغرافيته المفضلة، ومن اليسير ان نلاحظ انه مثلما توجد المناطق الجيواستراتيجية، توجد هناك ايضا مناطق سياسية، ويمكن للمناخ السياسي ان يخضع للدراسة كالمناخ الطبيعي، وقد لاحظت انه على الرغم من الظاهرية الخداعة فان الراي العام يحافظ على استمرارية معينة طبقا للمناطق، وتحت اللوحة الدائمة التحول للانتخابات السياسية يمكننا متابعة التوجهات الاكثر عمقا وديمومة، والتي تعبر عن الحرارة الجهوية".²

حدد ايف لاکوست مهمته في ان يعزز الجيواستراتيجية بالمعايير الاكثر جدة والخاصة بمجتمع المعلومات، اما الاهمية الاعظم بين النظم المعلوماتية التي تترك اثرها على العمليات الجيواستراتيجية فتتملكها وسائل الاعلام الجماهيرية والتلفزيون من بينها بشكل خاص، وفي العالم المعاصر تسيطر لا الطريقة البنيوية-العقلانية بل "الصورة الشخصية" (الايماج)، فالنظريات السياسية والايدولوجية والجيواستراتيجية تصاغ لدى جزء كبير من المجتمع، وبطريقة استثنائية، على اساس جيواستراتيجي من خلال برامج البث التلفزيوني و"الصورة الشخصية"

¹- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 175

²- المرجع نفسه، ص 175

الوسطية تمثل التركيب الذري الذي تتركز فيه دفعة واحدة عدة رؤى -الاثنية، الثقافية، الايديولوجية والسياسية، والنوعية التركيبية "للإيميج" تقربه من تلك الخصائص التي تعتمد عليها الجيوسياسة بطريقة تقليدية¹. فوسائل الاعلام لا تلعب في المجتمع المعاصر ذلك الدور المساعد الذي كان لها في السابق، بل تغدو العامل الجيواستراتيجي المستقل الاوفر قوة والقادر على ترك تأثير قوي على المصائر التاريخية للشعوب وتحقيق اهداف الاطراف المسيطرة على اوسع فضاء جيواستراتيجي.

¹ - Gaëlle GROGNET : *Medias : Faut-il un Cinquieme Pouvoir ? L'Université Lavall, Quebec, 2004, p34.*

الفكر الجيوستراتيجي الأمريكي

"القوة البحرية"

ألفريد ثاير ماهان - Alfred Thayer Mahan

(1840-1914)

المحور الاول: سيرة العالم وافكاره حول القوة البحرية

لم يكن الأمريكي الفرد ثاير ماهان (1840-1914) - خلافا لراتزل و ماكيندر- عالما اكثر منه عسكريا، ولم يستخدم مصطلح " جيوبوليتيكا"، إلا ان منهج تحليله و النتائج التي توصل اليه تتطابق مع الرؤية الجيوبوليتيكية الصرفة، فقد قام ضابط ال Union Navy الأمريكي منذ 1885 بتدريس تاريخ الاسطول الحربي في " كلية الحرب البحرية" Naval War Collage، في نيويورك (رود-ايلاند)، وفي عام 1890 نشر كتابه الاول " القوة البحرية في التاريخ – 1660-1789"، والذي امسى فور صدوره نصا كلاسيكيا في الجغرافيا العسكرية، و توالى بعد ذلك مع بعض فترات الانقطاع اعماله الأخرى:¹

- تأثير القوة البحرية على الثورة الفرنسية و الامبراطورية 1793-1812
- اهتمام امريكا بالقوة البحرية في الحاضر والمستقبل
- مشكلة اسيا وتأثيرها على السياسة الدولية
- القوة البحرية و علاقتها بالحرب

وقد كرست جميع كتبه تقريبا لموضوع واحد، موضوع " القوة البحرية" "Sea Power"، فصار اسم ماهان مرادفا لهذا المصطلح، فلم يكن ماهان منظرا للإستراتيجية العسكرية فحسب، بل شارك بفعالية في السياسة الأمريكية، وترك تأثيرا كبيرا بصفة خاصة على السياسيين من امثال هنري كابوت لودج و تيودور روزفلت²، فضلا عن ذلك فإننا اذا ما نظرنا الى ماضي الاستراتيجية العسكرية الأمريكية على مدار القرن العشرين رأيناها تقوم على تطابق مباشر مع افكار ماهان،

¹- Semra Ran Gokmen: Op.Cit, p 45.

²- Nicholas J. Danby: *The Roots of Roosevelt's Navalism*, Naval History Magazine, U.S. Naval Institute, February, vol 35, 2021, p8.

بضاف الى ذلك ان هذه الاستراتيجية اذا لم تحمل للولايات المتحدة الامريكية النجاح الملموس في الحرب العالمية الأولى فان تأثيرها كان واضحا في الحرب العالمية الثانية، اما الانتصار في الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي فقد عزز نجاح استراتيجية " القوة البحرية".

من الملاحظ أنه عندما يتحدث ماهان عن استراتيجية القوة البحرية فإنه يقصد بذلك القوة العسكرية التي يمكن نقلها عن طريق البحر لمكان ما من الاقاليم البرية في العالم، كما أوضح أن قارات العالم الشمالية هي مفتاح السيطرة على العالم، وأن قناتي السويس وبنا تعتبران الحدود الجغرافية لعالم الشمال المتميز بتكاثف الحركة التجارية والسياسية العالمية¹، واعتبر أوراسيا أهم جزء منه، وأن روسيا تحتل موقعا أرضيا مسيطرا في آسيا وهو موقع منيع لا يمكن الهجوم عليه، إلا أنه لها مساوئ أهمها أنها كتلة قارية محبوسة .

وبما أنه يرى أن في القوة البحرية مفتاح السيطرة العالمية، فإن بإمكان كل من بريطانيا وأمريكا أن يتحالفا للسيطرة وتحقيق السيادة العالمية²، وبذلك يكون ماهان قد توصل لنتائج عكسية لما تنبأ به ماكيندر، ولعل ذلك مرجعه إلى شخص ماهان كرجل من القوة البحرية يؤمن بالتفوق الجيواستراتيجي البحري.

كما يرى ان تحليل وضعية الدولة و وضعها الجيواستراتيجي يجب ان يتم على اساس بنود ستة:

1- الموقع الجغرافي للدولة: انفتاحها على البحار وامكانية اجراء الاتصالات البحرية مع الدول الاخرى ومدى امتداد الحدود البرية، ما يساعد على السيطرة على الطرق التجارية البحرية المهمة والقدرة على بسط السيطرة على المناطق والمنافذ الهامة إستراتيجيا وقدرة الدولة على تهديد اراضي العدو بأسطولها.

فالنشاط العسكري لأي بلد بحري يرتبط ارتباطا مباشرا بنوع البحر المسطح المائي الذي يقع عليه، مفتوحا ام مغلقا، فالأقطار الواقعة في بحر البلطيق تتأثر من الناحيتين التجارية والعسكرية، فإذا ما سيطرت دولة اجنبية على مداخلهن وهذا ما حدث في الحرب العالمية الثانية

¹ - محمد رياض: مرجع سابق، ص 77.

² - Semra Ran Gokmen: Op.Cit, p 45.

حينما سيطرت القوى الألمانية على بحر الشمال مما أدى الى فرض نفوذها عليه وضياع سيادة البلدان المحيطة بهذا البحر.

2- الهيئة الفيزيائية للدولة: "الظهير الساحلي" اي هيئة الشواطئ البحرية واعداد الموانئ المتوضعة عليها، فهذا يرتبط بازدهار التجارة الاستراتيجية والدفاعية.

3- امتداد مساحة الأراضي والعدد الاحصائي للسكان: وهي تعادل امتداد الخط الساحلين وهي من المحفزات الرئيسية لبناء قوة بحرية حسب كبر مساحة الدولة وكثرة عدد سكانها، اذ يرى ماهان ان لهذين المحددين امكانية تنوع الموارد الطبيعية داخل تلك المساحة، وكذلك قدرة القوى البشرية المتمثلة بعدد السكان والقدرة على بناء اساطيل بحرية واستعمالها.

4- الطابع القومي وخصائصه: من الاسس التي راها ماهان ضرورية لبناء قدرة بحرية، هي معرفة مقدرة الشعب على العمل بالتجارة البحرية واستعدادهم لذلك، اذ ان القوة البحرية تعتمد التجارة السلمية الواسعة كفيلة بجمع الثروات الضرورية.

5- الطابع السياسي للإدارة وتوجه السلطة الحاكمة: وهي ترتبط اعادة توجيه افضل المصادر الطبيعية و البشرية نحو انشاء القوة البحرية القادرة على ضمان حماية الدولة ضد اي عدو محتمل، وقادرة على التوسع والانتشار.¹

يتبين مما سبق ان ماهان يقيم نظريته الجيواستراتيجية مرتكزا بصفة استثنائية من القوة البحرية ومصالحها، فقد أكد أن القوة البحرية تعتبر العنصر الهام والحاسم للهيمنة السياسية لأي دولة تطمح في لعب دور على المستوى الكوني، واستند في ذلك إلى دراسات معمقة لدور البحرية في حركة التاريخ، إذ اعتبرها المفتاح الحقيقي لحسم الصراع على هيمنة أي قوة على النظام الإقليمي أو الدولي، وكانت قرطاج القديمة انموذج القوة البحرية لماهان، اما من الناحية التاريخية الأقرب فكانت انجلترا القرنين السابع عشر والتاسع عشر.

¹- الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص98..

يذهب ماهان الى ابعد من ذاك المنظور، بحيث يعد " القوة البحرية" نوعا خاصا من الحضارة، فيتجاوز بذلك اراء (كارل شميدت)، الحضارة الأسمى والاكثر فعالية فهي اذن المهيأة للسيادة العالمية.

لقيت افكار ماهان قبولا في جميع انحاء العالم وتركت اثرها على عدد كبير من المفكرين الاستراتيجيين الأوروبيين حتى ان المانيا القارية، البرية الطرق، تبنت في شخص الاميرال تيربيتس اطروحات ماهان واخذت تطور اسطولها البحري بفعالية، وفي سنتي 1940-1941 صدر لماهان كتابين في الاتحاد السوفياتي.¹

إلا ان الكتابين كانا مخصصين بالدرجة الاولى لأمريكا والأمريكتين، وكان ماهان من اشد انصار مقولة الرئيس مونرو (1758-1831) الذي اعلن عام 1823 مبدأ اللاتدخل المتبادل بين امريكا وأوروبا كما ربط تنامي قوة الولايات المتحدة الامريكية بتوسعها الترابي فوق الاراضي الممتدة بجوارها. وكان ماهان يرى ان لأمريكا "مصيبرا بحريا" و ان هذا هو Manifest Destiny - (المصير الواضح او الظاهر)، ويتجسد في تجسيد هدف التكامل الاستراتيجي كمرحلة اولى لمجموع القارة الامريكية ثم في تحقيق السيطرة العالمية.

لكن قبل 10 سنوات من ظهور نص ماكندر، كان الاميرال ماهان قد تنبأ لأمريكا بالذات بمصير كوني، ان تصبح دولة بحرية قيادية تترك اثرها على مصائر العالم. وقد اكد ماهان في كتابه " اهتمام امريكا بالقوة البحرية" انه على امريكا لكي تصبح دولة عالمية ان تنجز الامور التالية:

- 1- التعاون بفعالية مع الدولة البحرية البريطانية العظمى.
- 2- اقامة العراقيل في وجه الطموحات البحرية الالمانية.
- 3- المراقبة اليقظة للتوسع الياباني للمحيط الهادي ومقاومته.
- 4- تنسيق العمليات المشتركة مع الاوروبيين ضد شعوب اسيا.

¹- الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص98.

رأى ماهان مصير الولايات المتحدة لا في ان تشارك بطريقة سلبية في السياق العام لدول الاطراف في " الهلال الخارجي"، بل في ان تلعب الدور القيادي في العلاقات الاقتصادية، الاستراتيجية وحتى الايديولوجية.

ومن اراء ماهان، ان الدفاع عن الولايات المتحدة لا يكون بمحاولة منع وصول سفن العدو الى السواحل الأمريكية بل بإعداد اسطول من القطع البحرية المتكاملة و الضخمة، ولعله نجد ان الفكرة الاساسية من انشاء قواعد بحرية استراتيجية في مناطق تقع بعيدا عن حدود اراضيها تقوم على اعتبار ان بعد مراكز دفاعها الخارجية يسمح لها امكانية القيام بمهمتين اساسيتين هما:¹

- العمل على سد الطريق بوجه العدو للوصول الى اراضيها.
- العمل على ابقاء موانئ الولايات المتحدة مفتوحة وامنة.
- العمل على التحكم في المياه المحيطة بالولايات المتحدة ومياه العالم بحارا ومحيطات.
- الحيلولة دون ضرب اي حصار على البلاد.
- جعل احتمال هجوم قواتها قريبة من مراكز العدو.

المحور الثالث: تأثير افكار ماهان على الاستراتيجية الحربية الامريكية

من الناحية العملية، كانت هذه من الخطط الجيواستراتيجية الاساسية لحلف الناتو وغير من الاحلاف الموجهة نحو وقف الاتحاد السوفياتي تظهر نجاح وتطوير لأفكار ماهان الاساسية.

بصورة مستقلة عن ماكيندر، توصل ماهان الى نفس النتائج المتعلقة بالخطر الاكبر على الحضارة البحرية، ويتمثل هذا في الدول الاوراسية القارية (في الدرجة الاولى روسيا والصين وفي الثانية المانيا)، وكان الصراع مع روسيا، مع هذه الكتلة القارية المتواصلة للإمبراطورية الروسية الممتدة من غربي اسيا الصغرى وحتى خط الطول الياباني في الشرق، يمثل بالنسبة للقوة البحرية المهمة الاستراتيجية المستديمة.

¹- Milan Vego: *Naval Classical Thinkers and Operational Art*, The United States Naval War College, 2009, p2.

وقد نقل ماهان الى المستوى العالمي مبدأ " الاناكوندا " ¹، الذي استخدمه الجنرال الامريكي (مك-كليان - George McClellan) في الحرب الاهلية في الشمال الامريكي من خلال سنوات 1861-1865.

ويتجسد هذا المبدأ في حصار الاراضي المعادية من البحر و عبر الخطوط الساحلية، وهو ما يؤدي الى الاستنزاف الاستراتيجي للعدو، وبما ان ماهان كان يرى ان جبروت الدولة يتحدد بقدراتها على اقامة القوة البحرية، ففي الحالة المعاكسة تصبح المهمة الاستراتيجية الاولى هي الحيلولة دون بناء تلك القوة في معسكر العدو، وعليه فان مهمة المواجهة التاريخية لأمريكا هي تعزيز موقعها في البنود الستة (التي سبق ذكرها) واضعاف العدو في تلك البنود المذكورة، فينبغي ان تكون امادها الساحلية تحت السيطرة، اما المناطق المطابقة لذلك عند العدو فينبغي العمل بكل الوسائل على قطعها عن الكتلة القارية، ثم: بما ان مبدأ مونرو في جزئه الخاص بالتكامل الترابي، يعزز قدرات الدولة فلا ينبغي- على العكس من ذلك- معاملة العدو او المنافس- وهو في حالة ماهان الدول الاوراسية الكبرى (روسيا والصين و المانيا) - بالعمل على خنق الكتلة القارية في اصفاد الاناكوندا، وان تسحق عن طريق سحب المناطق الساحلية من تحت سيطرتها واغلاق منافذها على المجال البحري بقدر المستطاع.

في الحرب العالمية الاولى جرى تطبيق هذه الاستراتيجية من خلال دعم الانتانتا للحركة البيضاء في اطراف اوراسيا (ردا على عقد البلشفيك الصلح مع المانيا)، اما في الحرب العالمية الثانية فقد طبقت ايضا ضد اوروبا الوسطى، وبخاصة على العمليات الحربية - البحرية ضد دول المحور واليابان، إلا انها ظهرت بقدر اكبر من الوضوح خلال مرحلة الحرب الباردة عندما اتخذت المواجهة بين الولايات المتحدة الامريكية و الاتحاد السوفياتي تلك الاحجام العالمية على مستوى الكرة الارضية و التي اخذ علماء الجيوبوليتيكا يعتمدونها على المستوى القطري بدءا من نهاية القرن التاسع عشر.

من الناحية العملية كانت الخطوط الاساسية لاستراتيجية الناتو وغيره من الاحلاف الموجهة نحو وقف الاتحاد السوفياتي (مبدأ "الوقف" مطابق لمبدأ الاناكوندا الجيوبوليتيكي والجيواستراتيجي).

¹- Carl Wesley Pagles : *To the mountaintop and back again : the rise and fall of General To the mountaintop and back again : the rise and fall of General George B. McClellan. George B. McClella University of Louisville, USA, 1977, p81.*

الجيواستراتيجية عند نيكولاس سبيكمان

سيرة العالم ومراجعته ماكيندر حول مركزية الهلال الهامشي Rimland:

يعد نيكولاس سبيكمان (1893-1943) ذو الاصل الهولندي، المعتنق لافكار الفريد ماهان، تحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا، وكان استاذا للعلاقات الدولية واصبح فيما بعد مديرا لمعهد العلاقات الدولية وجامعة ييل، وخلافا لعلماء الجيوسياسية الاوائل، لم تكن الجغرافيا تعني بالنسبة له امرا عظيم الاهمية، وعلى مستوى اقل من ذلك كانت تشغله قضايا ارتباط الشعب بالتربة وتأثير السطح الارضي على الطابع القومي وما الى ذلك، كان ينظر الى الجغرافيا السياسية على انها الوسيلة الاكثر حساسية في السياسة العالمية الموضوعة على اساس منهج للتحليل ونظام للمعطيات يسمحان ابتداء الاستراتيجية الاكثر تأثيرا، وفي هذا المعنى وجه اعنف نقده للمدرسة الالمانية وبخاصة في كتابه "جغرافية العالم"، الذي عد فيه التصورات المتعلقة بـ "الحدود العادلة والحدود الظالمة هراء ميتافيزيقيا".

وعلى نحو ما كان الامر بالنسبة لماهان، كان من سمات سبيكمان المدخل النفعي والرغبة المحددة في تقديم المعادلة الجيواستراتيجية الاشد تأثيرا والتي تتمكن الولايات المتحدة بعونها من التوصل وباسرع الطرق الى تحقيق "السيطرة العالمية"، وبهذا تتحدد بنية دراسته جميعا.¹ فبعدما درس سبيكمان اعمال ماكيندر، تقدم بصياغته لمخطط استراتيجي اساسي يختلف قليلا عن نموذج ماكيندر، وكانت فكرته تقوم على اساس ان ماكيندر قد بالغ في تقييم الاهمية الاستراتيجية لقلب العالم²، فقد كان سبيكمان يرى ان التاريخ الجغرافي " للهلال الداخلي Rimland" قد تكون من تلقاء نفسه وليس بتأثير من " رخل اليابسة " حسب نظرة ماكيندر، فقلب

¹ - Semra Ran Gokmen: Op.Cit, p 49.

² - Michael P. Gerace : *Between Mackinder and Spykman: Geopolitics, containment and after*, Comparative Strategy an International Journal, Routledge, Vol 10, Issue 4, 1991, p 359.

العالم من وجهة نظر سبيكمان ليس إلا فضاء جغرافي يحتمل يتلقى جميع النبضات الحضارية في المناطق الشاطئية ولا يحمل في طياته اي رسالة جيوسياسية او جيواستراتيجية مستقلة او حافز تاريخي، و Rimland هو مفتاح السيطرة العالمية وليس ال Heartland.

ان معادلة ماكيندر الجيوسياسية القائلة بان من يسيطر على اوروبا الشرقية يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على القلب يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم، فيقترح سبيكمان استبدالها بالمعادلة القائلة: "من يسيطر على Rimland يسيطر على اوراسيا، ومن يسيطر على اوراسيا يقبض على مصير العالم بيديه".

السلم الجيواستراتيجي لتقدير القوة:

في كتابه "الاستراتيجية الامريكية في السياسة العالمية" و "جغرافية العالم"، يقدم سبيكمان عشر (10) معايير ينبغي تقدير القوة جيواستراتيجيا على أساسها انها تطوير للمعايير التي كان ماهان قد طرحها لأول مرة و هي:¹

- 1- سطح الارض.
- 2- طبيعة الحدود.
- 3- عدد السكان.
- 4- نوفر او انعدام الثروات الطبيعية.
- 5- التطور الاقتصادي والتقني.
- 6- القوة المالية.
- 7- التجانس الاثني.
- 8- مستوى التكامل الاجتماعي.
- 9- الاستقرار السياسي.
- 10- الروح الوظيفية.

فإذا تبين ان اجمالي تقييم الامكانات الجيواستراتيجية للدولة وفقا لهذه المعايير ليس مرتفعا حتى الدرجة الكافية، كان ذلك يعني بطريقة شبه الية انه يتعين على هذه الدولة الدخول في حلف

¹ - Rosenboim Or : *Geopolitics and empire: visions of regional world order in the 1940s. Modern Intellectual History*, University of London Institutional Repository, 2015, p. 14.

استراتيجي اكثر عمومية، مضحية بجزء من استقلالها بغية الحصول على الحماية الاستراتيجية العالمية.

بالاضافة الى اعادة تقييم معنى Rimland، ادخل سبيكمان اضافة جديدة هامة الى اللوحة الجيوسياسية للعالم، فقد طرح مفهوما في غاية الاهمية هو "المحيط المتوسط"، وفي اساس هذا التصور الجيواستراتيجي يكمن تشابه مميز بين البحر الابيض المتوسط في تاريخ اوروبا والشرق الاوسط وشمال افريقيا في العصور القديمة، وبين المحيط الاطلسي بالنسبة للحضارة الغربية في التاريخ المعاصر، وبما ان سبيكمان كان يرى في منطقة Rimland بالذات اساسا للارض التاريخية للحضارة، فقد تبدلت له منطقة البحر الابيض المتوسط القديمة، انموذج الثقافة التي انتشرت فيما بعد في اعماق اليابسة وعلى المساحات البعيدة التي ما كان الوصول اليها ممكنا الا بواسطة الطريق البحرية، وتشبيها لهذا الانموذج المتوسطي يحدث الامر نفسه في ايامنا الحاضرة وعلى مساحة كونية مضخمة بالنسبة للمحيط الاطلسي الذي تبدوا ضفته -الامريكية والاوربية- منطقة للحضارة الغربية الاكثر تطورا في المفهومين التقني والاقتصادي¹.

لم يجعل سبيكمان مقولته الشهيرة التفسير الجيواستراتيجي لمكانة الولايات المتحدة الامريكية كقوة بحرية في العالم كله (كما فعل ماهان)، ربما لان ذلك قد صار حقيقة واقعة في عهده - بقدر ما كان ذلك الاساس ضرورة السيطرة على المناطق الشاطئية لاوراسيا، اوروبا، البلدان العربية، الهند والصين وغيرها - بنية تحقيق النصر النهائي في المبارزة بين القوى القارية والبحرية، فاذا كانت النظرة الى الثنائية الكونية في لوحة ماكيندر تقوم على اساس انها شيء لا يمكن الغاؤه، فقد كان سبيكمان يرى ان السيطرة الكاملة على Rimland من طرف "الدول البحرية" سيؤدي الى النصر النهائي الذي لا رجعة فيه على القوى البرية، التي ستكون تحت السيطرة، فمن الناحية الواقعية كان ذلك التطوير الاقصى لتكتيك "اناكوندا" التي كان مهان قد ارسى اساسها، وقد اكسب سبيكمان ذلك النظام صيغته النهائية، واستعراض انتصار الولايات المتحدة الامريكية في الحرب الباردة "كقوة بحرية" بمثابة الصواب الجيواستراتيجي المطلق لسبيكمان الذي يمكن تسميته بـ "مهندس النصر العالمي للدول الليبرالية على اوراسيا"².

¹ - Rosenboim Or : Op.Cit, p 35.

² - الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص109.

جيوسياسة الحروب وتطورها

يستعمل مصطلح "جيل او أجيال" لتوصيف التطور الحاصل في الحروب وتمييزها من حيث الأدوات المستعملة وطريقة ادارتها من جيل الى جيل، لكن يبقى هنالك اختلاف وتباين بين المحللين الاستراتيجيين والعسكريين في تعريف أجيال الحروب وازمنتها، ونظرا لاختلاف المعايير العسكرية والتكتيكية، وكذا المفاهيم النظرية المستخدمة في التعريف والتحليل، ويتحدث الباحثون اليوم عن 5 الى 6 أجيال من الجروب في عصرنا الحاضر، نتعرف عليها لنستوعب درجة تعقيد المشهد في تصنيف الحروب.

1-حروب الجيل الأول:

يعرفها الخبير العسكري والكاتب الأمريكي ويليام ليند بأنها حروب الحقبة الممتدة بين العامين 1648 و1860، والتي عرفت بالحروب التقليدية Conventional War. (ولو انه يمكن ارجاع الفترة الى اول ظهور للحروب بين طرفين يمثلان جيشين).

وأطلقت هذه التسمية على الحروب التي تدور رحاها بين جيشين نظاميين على ارض واحدة وعلى ميدان محدد، حيث تكون المواجهات مباشرة بين خصمين او أكثر، وتستعمل فيها الأسلحة والذخائر والتكتيكات التقليدية على أنواعها، وهذا الجيل من الحروب يتسم ببروز مقومات الفروسية والشجاعة والاقدام على مستوى القادة والافراد (الجنود).

عرفت البشرية مبكرا هذه الحروب التي استمرت حتى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، واستخدم خلالها عدد كبير من العمليات العسكرية، كعمليات المناورة والالتفاف لتطويق الخصم وضربه في اجنحته للقضاء عليه وتدميره.

2-حروب الجيل الثاني او حرب العصابات:

يتميز هذا الجيل بما يعرف بحرب العصابات او الحرب الثورية، وتكون عادة بين جيش نظامي تقليدي ومجموعات قليلة تقاتل لتحقيق هدف واحد، وهذا النوع من الحروب شبيه الى حد ما بحروب الجيل الأول، لكن التطور الذي حصل في تقنيات الأسلحة وتكتيكات المناورة و الحركة ودخول الدبابات والطائرات في الحرب، جعل لها خاصية اكثر دقة واكثر قدرة على احداث تدمير كبير والعدد في القتلى بين اطراف النزاع، تتميز حرب العصابات باستراتيجياتها وفكرها الخاص، فهي تنشأ في الصراع المستمر والطويل مما يحتم اتباع أسلوب المفاجأة والمباغته في القتال ضد الجيوش النظامية (استخدام الوم لهذا النوع في حربها بالوكالة ضد الاتحاد السوفياتي في الفيتنام، واستخدمتها روسيا في اسيا الوسطى و الشيشان وغيرها من المناطق، واستعملتها العديد من البلدان في حروبها ونزاعاتها المسلحة ضد الطرف الاخر). واعتماد الضربات الموجعة للعدو في مواجهات صغيرة ومتعددة ومتلاحقة بالظهور والاختفاء، تهدف الى اضعاف من قدرته وتدفعه الى التراجع عن أهدافه، بشروط يفرضها بنفسه، يحدد مكانها وزمانها بما يضمن له النجاح.

تتميز حرب العصابات بأحادية القيادة، اذ يجمع قادتها بين القيادة لسياسية والعسكرية، كما تعتمد هذه الحروب على المساندة الإعلامية بشكل رئيس وكبير، وذلك لكسب الحشد من الأنصار والتأييد والتبرعات وغيرها.

3- حروب الجيل الثالث:

يعرف البعض هذا الجيل بالحروب الوقائية او الاستباقية، التي انطلقت من وحي نظرية "الردع بالشك"، وهي نظرية سياسية عسكرية ظهرت في الوم ل عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، ويقصد بالضربة الاستباقية هو شن الحرب ضد كل ما من شأنه ان يهدد الامن القومي الأمريكي(وهذا الشكل يعتبر تعدي بفرض منطق الهيمنة والقوة على الدول الضعيفة، فهي تصنف من تشاء بوصف العدو بمجرد الشك، ضاربة عرض الحائط هيئة الأمم المتحدة ومجلس الامن والمطالب الدولية لكف الحروب، فقد كانت للإعلام دور خطير في الدعاية للحرب بنشر أفكار حول ماهية الإرهاب والخطورة المزعومة حول الطرف المشكوك فيه، وتدار المعلومات الإعلامية عبر مختلف الوسائط لتغليف وتوجيه الراي العام المحلي والدولي، إضافة الى اثاره العواطف من مختلف الابعاد، الدينية، الثقافية، الأمنية...الخ، وتشكل الحرب على العراق نموذجاً حياً عنها.

4-حروب الجيل الرابع:

يتفق الخبراء العسكريون على ان حروب الجيل الرابع التي عرفت بـ " الحروب اللاتماثلية" "Asymmetric Warfar"، هي حرب أمريكية صرفه (او بالأحرى هي فكرة أمريكية مطورة أساليب وطرق الحروب)، اذ وجد الجيش الأمريكي نفسه يحارب (لا دولة) بعد احداث 11 سبتمبر 2001، او بمعنى اخر كان عليه محاربة تنظيمات محترفة عسكريا ومدرية جيدا ومنتشرة عبر العالم، وتمتلك إمكانات ممتازة ولها خلايا خفية تنشط لضرب المصالح الحيوية للدول الأخرى لإضعافها امام الراي العام الداخلي وارغامها على الانسحاب من التدخل في مناطق نفوذها. وقد استخدم مفهوم حروب الجيل الرابع في عام 1989 من قبل الأمريكي ويليام ليند William S.Lind.

تستخدم في هذه الحروب وسائل الاعلام الجديدة والتقليدية، ومنظمات المجتمع المدني والمعارضة، والعمليات الاستخباراتية، والشركات الأمنية الخاصة، والنفوذ الأمريكي في أي بلد لخدمة مصالح الولايات المتحدة الامريكية وسياساتها الاستراتيجية، وظهر معها بالتأكيد التوظيف الكبير للمليشيات والمترزقة.

حروب الجيل الخامس:

يعتبر البعض ان ما وصلت اليه الحروب اليوم، هو ما يسمى بحروب الجيل الخامس التي تعتمد على خلق تناقضات بين السلطة والمجتمع في دولة ما، وذلك باستغلال مختلف الوسائل، وعلى راسها الاعلام المعولم، ويقول احد المحللين ان الجيل الخامس يعتمد في استراتيجيته على " احتلال العقول لا الأرض، وبعد احتلال العقول يتكفل المحتل بالباقي"، فهو اذا يستخدم العنف غير المسلح (القوة الناعمة + القوة الذكية)، مستغلا الجماعات المسلحة وجماعات الجريمة المنظمة فضلا عن اثاره الاثنيات والعنقيات والطائفيات (كما استخدمت فرنسا في استعمارها للجزائر وعملت على استراتيجية فرق تسد وبذلت أموال طائلة على اضعاف الوحدة الوطنية وتشتيتها

وتضليلها عقدياً)، وتعمل أيضاً على خلق جماعات داخلية انتهازية تصنع الحروب الداخلية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، بهدف استنزاف الدولة المستهدفة وإضعافها بوضعها في مواجهة صراعاتها الداخلية، بالتوازي مع التهديدات الخارجية العنيفة.

يعتمد صانعو حروب الجيل الخامس على استخدام التقنيات الحديثة، في مقدمتها التكنولوجيا عموماً والاعلام المتطور خصوصاً (فنحن نعيش اليوم عصر العولمة الإعلامية المرتكزة على الانتشار الإلكتروني عصر تكنولوجيا المعلومات، التي باتت متاحة للأفراد وسهلة المنال بعدما كانت من أكثر المنظومات العسكرية سرية، فبعدما كنا نسمع بالجيش "التقليدي" الحامل للسلح الناري، فاليوم توجد جيوش الكترونية تضرب بدقة متناهية عبر السلح الإلكتروني والتكنولوجي الحديث، فبواسطته، بات الأهداف سهلة المنال والتحقيق، وخاصة إذا كان العدو دولة متخلفة، فالقدرة على الاختراق الأمني للدولة ولل فرد بات سهلاً، وهذا يعكس شدة التهديد لحماية خصوصية المجتمعات فضلاً عن الاسرار الأمنية للدولة، فحروب الجيل الخامس -على غرار أجيال الحروب السابقة - كان ولا يزال الاعلام اخطر سلح، فالجيل الخامس من الحروب وعبر التطور التكنولوجي وبرز نظرية العولمة التي يسعى الغرب او بالأحرى النظام العالمي المسيطر الى تجريد كل العالم من خصوصياته القيمة الثقافية.

حتى في العالم الغربي نفسه، والهدف النهائي لتحقيق هذا الهدف (عولمة العالم) هو في حقيقته ليس نهائياً، بل تسعى القوة المسيطرة الى "اخضاع العالم " دولا وشعوباً للمنظومة المراد تعميمها وخلق تبعية جماعية باستخدام القهر النفسي والتغريب ونسف كل ما من شأنه إعادة بعث فكرة التكتل حول الخصوصية، وهنا تكمن خطورة استراتيجيات حروب الجيل الخامس عبر تقنيات الحروب السيبرانية الشاملة، وإثارة الشعوب وتحريكها وفق الأهداف السياسية لدول أخرى من خلال تحويل ولاءاتهم (الفكر الليبرالي عبر الوظيفية) وإنتاج حكومات الظل، وارتكاب أعمال إجرامية كبيرة للتشكيك في قدرة الدولة على السيطرة الأمنية، وهنا تستغل هذه التشكيلات الاجرامية وبالمساندة الإعلامية المغرضة في فبركة الاخبار وتزييف الحقائق ونشر الذعر و الهلع لترويع المواطنين، كما يمكن الإشارة الى ان اغراق المناطق المستهدفة بالمخدرات يعتبر من الوسائل المستخدمة ولفعالة في حروب الجيل الخامس (ما يذاع في الاعلام الجزائري يومياً).

حروب الجيل السادس:

هي تلك الحروب التي تدار عن بعد، من خلال استخدام الأسلحة الذكية لتأليب المجتمع من خلال التجنيد الكامل لشبكات الانترنت بهدف تهديم اركان الدولة وافشالها، وتتنوع الوسائل الذكية لتشمل استخدام الحيوانات كأدوات للتجسس وإلحاق الضرر عن بعد، وهذا النوع من الأدوات تتبناه وكالة داريا التابعة للجيش الأمريكي. فكل من حروب الجيل الخامس والسادس تشتركان الى حد كبير في تركيزها على التطور التكنولوجي والدعاية الإعلامية وتختلف عن الأجيال السابقة في تجاوزها مجال الحروب التقليدية المقيدة، فهي الآن تشمل في ضرباتها القوية غير العسكرية الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية، فضلا عن تطوير منظومة اسلحة الدمار الشامل، كالحروب البيولوجية والكيميائية وحروب الفيروسات المتطور وغيرها.

الآثار الأمنية للاقتصاد في بعده الجيواستراتيجي الوطني والدولي:

للأمن الوطني والدولي مجموعة متغيرات ومحددات تؤثر فيه، يختلف البعد الاقتصادي فيها عن غيرها، نظرا لتأثيره البالغ والسريع على استقرار الدولة وعلى كافة الأبعاد الأخرى، كما يمكن استخدام هذا البعد كقوة مضافة بيد الخصوم للتأثير على الأمن الوطني وتهديده، أما من جهة الدولة المهددة، فيستخدم لإحداث توازن في حالة اختلال أمنها الداخلي بالتأثير على الأبعاد الأخرى، فالقدرات الاقتصادية القومية، تلعب دورا مهما في تحديد مقدار القوة التي يمكن للدولة أن تمارسها في النسق الدولي (1).

- تعريف دافيد بالدوين: DAVID A. BALDWIN "، الأمن هو محصلة المصالح القومية الحيوية للدولة".

- تعريف لورنس كارن و ج ناي: LAWRENCE KAREN, J, NEY " الأمن هو غياب التهديد بالحرمان الشديد من الرفاهية الاقتصادية"، هذا التعريف يشير إلى القوة الاقتصادية كركيزة رئيسية للأمن الوطني.

كما أن موضوع أمن الطاقة يجمع بين العديد من العوامل الاقتصادية والسياسية والأمنية والبيئية والجيولوجية، ويثير العديد من التحديات الجيوسياسية ضمن عدة مستويات، محلية إقليمية ودولية، وفي وجود عدة متدخلين على طول سلسلة إمدادات الطاقة من مناطق الإنتاج إلى الأسواق الاستهلاكية (دول منتجة، دول عبور، دول مستهلكة، منظمات دولية للطاقة، المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية البيئية، فضلا عن الشركات العالمية للطاقة المتعددة الجنسيات...).

تظهر العلاقة القوية بين الاقتصاد والأمن في مختلف مستوياته، المحلي والإقليمي والدولي، من خلال التأثير البالغ للاقتصاد على باقي أبعاد الأمن، خاصة البعد الاجتماعي، فالرفاهية الاقتصادية من عوامل استقرار الدول وثباتها اجتماعيا أيضا، بحيث كلما كانت حاجات المجتمع مشبعة إلى حد ما، تكون نسبة التماسك المجتمعي أقوى وولاء أكبر للوطن، ما يؤثر بدوره على نسبة الأمن والاستقرار.

يتأثر تبعاً لذلك البعد العسكري بمدى قوة مقومات اقتصاد الدولة ومدى قوة قدرتها على ضمان وحماية حاجاتها ومقدراتها الاقتصادية، ما يترتب عنه ترتيب معين في مستوى حجم الإنفاق على هذا القطاع.

أما بالنسبة للسياسة الخارجية للدولة، فيحدد دورها ووزنها وترتيبها في هيكل النظام الدولي بناء على حجم وقوة اقتصادها، وأما عن علاقة الاقتصاد بالبعد الاجتماعي، فإن جودة التعليم مرتبطة بالاقتصاد، وبالطبع هناك أيضاً تأثير البعد الاقتصادي على باقي الأبعاد الأخرى مثل البعد الثقافي، والديموغرافي. (1)

مفاهيم وتعريف أمن الطاقة:

تعتبر الطاقة بمثابة " الدم " الذي يسري في شرايين الصناعات الحديثة والعصب الرئيسي للاقتصاد الحديث، وفي الوقت الراهن، النفط يعد مورد استراتيجي يتمتع بأبعاد سياسية لما له من تأثيرات على استقرار وأمن الدول، واليوم يعتبر أنه لا يوجد مادة أولية قوية وذات علاقات وطيدة جداً بالجيوسياسية كما هو النفط (1).

إن الحديث عن مفهوم أمن الطاقة يقود إلى مرحلة الحرب العالمية الأولى، حيث تبلور البعد الإستراتيجي لأمن إمدادات الطاقة، حيث جاء في قرار الأميرال "وينستن تشرشل"، بالتحويل إلى استخدام النفط المستورد بدلاً من الفحم المنتج محلياً، وقد اتخذ هذا التحول في " أمن الطاقة " بعداً استراتيجياً في العلاقات الدولية، ما دفع إلى بروز البعد الأمني للطاقة كقضية إستراتيجية وطنية.

أما في فترة الحرب العالمية الثانية، بدا ذلك البعد أكثر وضوحاً، فبدخول الطيران الحربي كعنصر جديد فعال في الحرب، وازدياد نسبة اعتماد الوسائل الحربية على كل أنواع الوقود السائل، أصبح لدى كل من الأطراف المتحاربة أهداف إستراتيجية متوازية، أهمها:

كما انه ظهر مفهوم "أمن الطاقة" كمسألة بارزة بعد الصدمة النفطية الأولى عام 1973، لما سعت عدة الدول إلى ضمان تدفق حاجاتها من الطاقة من دون انقطاع، لكن في مرحلة لاحقة صار من الضروري توضيح مفهومي الاستقلالية في مجال الطاقة وأمن الطاقة، فيمكن لدولة ما أن تكون غير مستقلة في مجال الطاقة، أي أنها تعتمد بالكامل أو بصورة جزئية على دول أخرى في تأمين حاجاتها منها، على نحو يشكل خطراً على أمنها الاقتصادي، ثم صار يجري الحديث عن تبعية البلدان المصدرة للنفط حين ظهر مصطلح المرض الهولندي*، أو "التبعية النفطية" (1)

يعبر DANIEL YERGIN، رئيس مركز أبحاث الطاقة في جامعة كامبردج سابقا مقولة مشهورة من أجل تصنيف بعد الطاقة (النفط) في بيئة العلاقات الدولية، متحدثا عن السوق الأوروبية في الثلاثينيات من القرن العشرين حيث يقول: النفط هو 10 بالمائة اقتصاد و90 بالمائة سياسة (2).

بحيث، نجد أنه في حالة حدوث أي اضطراب حول هذا المورد، سيعيق استمرارية تدفق إمداداته، ما سينتج عنه حتما تبعات وخيمة على الاقتصاد الوطني والإقليمي والعالمي، فضلا عن استقرار المنظومة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول، فجميع مكوناتها شديدة الارتباط باستخدامات الطاقة، بالمقابل نجد أن استمرارية الإمدادات من الطاقة كفيلة ببسط وترسيخ الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

لقد ارتبط الأمن الطاقوي العالمي بكل الأزمات الدولية مهما كان حجمها وموقعها في العالم، مثل توقف الإنتاج في فنزويلا سنتي 2002 و 2003، وفي 2003 بسبب غزو العراق وحتى أحداث ما يسمى بالقرصنة في المحيط الهندي والبحر الأحمر وحرب الصومال، كما أن مفهوم أمن الطاقة الوطني يشمل دراسة وضع البلدان لمستلزمات أمنها القومي ووحدة أراضيها، ودراسة احتمالات سعي بعض الجماعات السياسية أو العرقية أو الطائفية للانفصال طمعا للسيطرة على منابع الطاقة أو حتى التحكم بإمدادات نقل النفط والغاز أو للحصول على امتيازات سياسية وحماية دولية كما هو الحال في جنوب السودان و شمال العراق. (1)

المطلب الثاني: البعد الإستراتيجي والأمني للصراع الدولي على الطاقة

لقد ربطت الدول الصناعية الكبرى إستراتيجية الموارد الطاقوية بشكل وثيق مع أهدافها الجيوسياسية، فقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية كان المحور الجغرافي للنفط والغاز الطبيعي العالمي في خليج المكسيك الأمريكي (2)، ثم انتقل تدريجيا - عقب الحرب - إلى منطقة الشرق الأوسط، لتحكم قبضتها على ثرواتها من خلال امتيازات اتفاقيات طويلة الأمد توطيدا لمكاسبها السابقة لفترة الحرب العالمية الثانية (للولايات المتحدة وبريطانيا)، فظلت تلك المنطقة تتعرض لتحديات كبيرة كونها المحور الجغرافي للنفط والغاز العالميين.

إن الخريطة الجديدة اليوم لجغرافية مواقع النفط والغاز الطبيعي هي المناطق المنتجة للنفط في الشرق الأوسط من ناحية، مع روسيا المنتجة للنفط والغاز من ناحية أخرى (1)، متفاعلة مع بعضها البعض في عمليات الإنتاج والتصدير والإمداد، وتشكلان شريطا شاسعا يمتد من دول شمال إفريقيا، فمناطق الشرق الأوسط، فبحر قزوين وسيبيريا الروسية فالشرق الأقصى، علما بأن هذه المناطق تحتوي

على ما نسبته 67 بالمائة من الاحتياطي النفطي و 73 بالمائة من احتياطي الغاز الطبيعي في العالم أجمع، فلقد سماه بعض العلماء الصينيين باسم " شريط قلب النفط " (2)، كما يرون أن الطلب النفطي العالمي سيأتي أساسا من جزئين يحيطان بهذا الشريط: أحدهما "المنطقة الهلالية الداخلية للطلب النفطي"، التي تضم شمال شرق آسيا وجنوب شرقها وقطاعها الجنوبي إضافة إلى القارة الأوروبية، علما بأن بريطانيا واليابان تقعان على حافته، والآخر "المنطقة الهلالية الخارجية للطلب النفطي، التي تشمل أمريكا الشمالية والمناطق الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء إضافة إلى أوقيانوسيا، وتشكل المنطقتان المذكورتان أنفا صورة جديدة لجغرافية الموارد النفطية والغازية على المستوى العالمي.

البعد الجيوسياسي للصراع الدولي على مصادر الطاقة:

تندرج المنافسة على هذه الموارد الطاقوية في إطار ما يسمى " بالمنافسة الجيوسياسية "، وهي نوع من التنافس بين الدول على الأراضي، الموارد الطبيعية، المعالم الجغرافية الحيوية مثل: الموانئ، الأنهار العامة، القواعد الإستراتيجية والمضائق والمواقع الجيومورفولوجية وغيرها من المنافذ، كالمنافسة الدولية حول بحر قزوين ومضيق ملكا والبحر الأحمر وغيرها، حيث تحتل هذه المضائق أهمية جيوسياسية معتبرة في مجال الطاقة (1).

لقد تطرق العديد من خبراء السياسة والإستراتيجية منذ نهاية الحرب الباردة إلى وضع تصور يحدد معالم البيئة الإستراتيجية المعاصرة، في عالم أصبح يشهد تكتلات جيوسياسية جديدة، فتوجهت الأنظار نحو مجال الصراع بين الشمال والجنوب أين تدور أغلب النزاعات والصراعات، فهي المنطقة التي تفتح مجالا للتدخل الإنساني والمساعدات الإنمائية، وبتنامي قوة بعض دول الجنوب - التي كانت محسوبة على التخلف- في المجال العسكري و الإقتصادي كالصين و الهند، فقد تم وضعها في مركز المنافسة الإستراتيجي للغرب، و مع اتساع الغرب و تباعد الرؤى الأمنية والمصالح بين وحداته، برزت دعوات لتجسيد التعددية القطبية في مقابل النظرة التي تجعل من الولايات المتحدة الدولة القطب الوحيد مقابل جميع الوحدات الدولية. (2)

كما نجد "منطقة الشرق الأوسط، آسيا الوسطى وبحر قزوين " من أبرز مناطق التنافس الدولي على الطاقة، فقد أصبحت على حد تعبير الأستاذ بريجينسكي "رقعة الشطرنج الكبرى" بين أمريكا القوة العظمى عالميا (1)، أوروبا، روسيا والصين، حيث أن لهذه الدول مصالح كبرى في المنطقة تتمثل في انسياب النفط والغاز بصفة هامة على المستوى العالمي ولدولها بصفة خاصة، وكل طرف في الرباعي يقوم بنسج علاقات عسكرية مع الحكومات المحلية وتزويدها بالأسلحة.

ومن ذلك، يتقرر نمط الصراع الدولي على النفط وفق الخريطة الجغرافية للموارد الطاقوية، فبالنظر إلى النفط من بعد متغيرات تاريخ السياسة الدولية(2)، نجد بأن النفط أصبح بالتدرج بؤرة تنافس الدول من أجل دعم قوتها والسعي وراء الهيمنة والتوسع، فراحت الدول الكبرى تبحث عن كيفية السيطرة على مصادر طاقة والنفوذ، فقد نشبت في سنوات الحرب العالمية الثانية خلافات حادة بين بريطانيا والولايات المتحدة حول المصادر النفطية في الشرق الأوسط، فكان بعض أعضاء الحكومة البريطانية يعارضون بشدة تدخل الولايات المتحدة في نفط الشرق الأوسط مدعين بأن النفط هو آخر وأكبر الممتلكات التي خلفتها الحرب لهم، إلا أن الرئيس روزفلت في فيفري 1944، اقترح على بريطانيا أن يكون "نفط الخليج ملك لبريطانيا، والنفط العراقي والنفط الكويتي يتم مناصفته بين الطرفين، بينما النفط السعودي فهو ملك لأمريكا وحدها". (3)

المحاضرة التاسعة

فرانسيس فوكوياما - نهاية التاريخ

بعد ان حصل فرانسيس فوكوياما الياباني الاصل على الجنسية الامريكي الجنسية على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هارفارد استهل حياته المهنية بالعمل في وزارة الخارجية الامريكية كنائب لمدير ادارة التخطيط السياسي، وفي بداية الثمانينيات اصبح عضوا في الوفد الامريكي في المحادثات المصرية-الاسرائيلية وحتى توقفها بعد الغزو الاسرائيلي للبنان، وعلى الرغم من تركيزه بعد ذلك على الكتابة والعمل الأكاديمي، إلا ان صلات فوكوياما بالعمل السياسي وتأثيراته في مؤسساته كالكونغرس ووزارة الخارجية والبيت الابيض بقيت مستمرة حتى تم تعيينه لاحقا ضمن مجلس استشاري للرئيس بوش لاقتراح السياسات الخاصة بقضايا الهندسة الوراثية.

كان بعض المحللين يرون ان العالم بعد الحرب الباردة سيكون عالما سلميا، وقد طرح "فرانسيس فوكوياما" نظريته "نهاية التاريخ"، ولكن هذه النهاية لم تكن تعني ان الزمن سيتوقف مستقبلا، ولكن ان كل ما سيحصل لن يضع التفوق الشامل عالميا للنموذج الديمقراطي الليبرالي موضع اعادة نظر¹، فذلك النموذج المنبثق من الثورة الفرنسية، شكّل الحل لمشكلة التاريخ، وكل البدائل التي طرحت وستطرح مستقبلا لن تكون الا موارد "detours" ستخلى عنها الانسانية.

و يعد كتابا فوكوياما (نهاية التاريخ و الانسان الاخير) و صامويل هنتغتون (تصادم الحضارات) اهم ما ظهر من مؤلفات خلال تلك الحقبة، كما تعرض كتاب فوكوياما لانتقادات عديدة، إلا ان فوكوياما ومؤيدوه اصرروا على ان التطور البشري بلغ قمته بالليبرالية الديمقراطية بمفهومها العلماني المطبق في الغرب بكل ما ينطوي عليه ذلك من تعددية وحرية مدنية و دينية واقتصاد السوق الحرة، لتأتي بعد ذلك احداث سبتمبر عام 2001 و تواجها بكل ما تحمله من مخاطر واحتمالات لتكون بالنسبة للبعض نهاية ل(نهاية التاريخ) و تمهيدا لظهور نظرية صامويل

¹ - Francis Fukuyama: *The End of History and the Last Man*, The National Interest, A Division of Macmillan, New York, 1992, p19.

هتنتغتون (تصادم الحضارات)، لكن فوكوياما بقي متمسكا بنظريته و مصرا على الاعتقاد بان الليبرالية الديمقراطية كانت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وما تزال الى الان هي المحرك الرئيس للسياسات العالمية.

لقد شهدت الفترة منذ نهاية الخمسينيات حتى بداية الثمانينيات الترويج "أمريكا لفكرة عدم جدوى الديمقراطية في الدول النامية، وهو ما اكده عام 1993 (غراهام اي فولر) عضو مؤسسة (راند) الامريكية عندمت قال:" لقد كانت السياسة الخارجية الامريكية وبشكل غير عادي عديمة الاستجابة والالتزام بهدف الديمقراطية في الشرق الأوسط وبنهاية الثمانينيات تغير الامر نسبيا، حيث شهد العالم في ظل النظام العالمي الجديد ظهور الدعوة الى تبني الديمقراطية الغربية كنظام سياسي يجب ان يسود جميع دول العالم بما فيها العالم العربي والإسلامي وقد تم التأسيس لتأكيدات المسؤولين الامريكان على ضرورة ان تكون الديمقراطية الليبرالية ركيزة للسياسة الخارجية الامريكية بقواعد نظرية ومرجعية فكرية روج لها بعض المفكرين الامريكيين وعلى رأسهم فوكوياما في اطروحته "نهاية التاريخ".

لكن مقالة فوكوياما هذه على ما يبدو لم تفهم في حينه بمفهومها الحقيقي، مما دفع به الى وضع كتابه المشهور لي طرح فيه مجددا سؤاله عما إذا كان من شأن التطور التاريخي للبشرية ان يقود الى في النهاية نحو الديمقراطية الليبرالية وكانت اجابته على هذا السؤال بالإيجاب لاعتقاده بأنه وبقدر ما تبلغ الديمقراطية الليبرالية مرحلة الانتشار العالمي فسيتم الوصول الى النقطة الاخيرة في التطور الايديولوجي، حيث لن يكون هناك بعدها اي تقدم او تطور فيما يتعلق بالمبادئ والعقائد والمؤسسات.

وقد اقام فوكوياما اجابته هذه على اساس من منهج الفيلسوف (هيغل) الذي امن بان التاريخ يصل ذروته في اللحظة المطلقة التي ينتصر فيها (العقل النهائي) الذي تعبر عنه الدولة، واذا كان هيغل لم يحدد طريقة حاسمة للوصول الى هذه (اللحظة المطلقة)، فقد حددها فوكوياما بـ"لحظة انتصار الديمقراطية الليبرالية وانتشارها العالمي"¹، وهو يرى ان الديمقراطية الليبرالية قد واجهت تحديين رئيسيين هما: الفاشية بمختلف اشكالها والشيوعية، وقد استطاعت الديمقراطية الليبرالية ان تضمن النصر لنفسها عليهما حيث كانت الحرب العالمية الثانية، في

¹ - Francis Fukuyama: Op.Cit, P108.

جوهرها، انتصارها على الفاشية، اما نهاية الحرب الباردة فقد اعلنت بصورة قاطعة انتصارها على الشيوعية، ويترتب هذين الانتصارين نهوض الليبرالية وبوصفها (اللحظة المطلقة) التي انتصر فيها العقل النهائي).

ولإبراز الديمقراطية الليبرالية بصفتها هذه، سعى فوكوياما الى تنزيهاها من كل مأخذ، فإذا كان التناقض بين العمل ورأس المال وبين الاغنياء والفقراء موجودا في ظل الديمقراطية الليبرالية فان ذلك يرجع الى كونه ارثا قديما وهو لا يرتبط في وجوده بالديمقراطية الليبرالية نفسها مما يسمح بالقول (حسب رؤية فوكوياما) بأنه بوسع الديمقراطية الليبرالية ان تتخلص من هذه المشاكل بكل سهولة، واذا ما وجدت الادولوجيات التي اصطدمت بها الديمقراطية الليبرالية لفترة معينة فمرجع ذلك الى ان الدول التي اعتمدتها لم تكن دولا ديمقراطية ليبرالية بالمعنى الدقيق، وذلك بقدر ما كانت الديمقراطية الليبرالية في القرن العشرين قد استطاعت على حد اعتقاده التخلص منها، ويعترف فوكوياما بان دول العالم الثالث لا تزال بعيدة عن جوهر الليبرالية والديمقراطية، ولكن ما الذي يمنعها من الخضوع لمقتضياتها وهي تجد نفسها في حلبة الصراع الدولي؟ ووفقا لذلك فان افكاره عن انتصار الديمقراطية الليبرالية ونهاية التاريخ تقدم الإطار النظري للتوجهات الجديدة للسياسية الخارجية الامريكية والرامية الى فرض الفلسفة الليبرالية

بالصيغة الامريكية على كل العالم باستخدام مصطلح الديمقراطية المزيّف كوجه الاكثر قبولا لدى البشر تجسيدا للهيمّة الامريكية بكل اشكالها وصورها. يمكن رؤية ان في هذا الامر ردا على الفكر الشيوعي الذي يقول ان الصراع الطبقي سيتوقف عند قيام المجتمع الشيوعي، وسيكون هذا النظام النهائي في العالم، وعبارة "نهاية التاريخ" مستمدة -بشكل غير مباشر- من هذه الفكرة.

في مقابل هذه النظرية، يرى صمويل هتينغتون Samuel Huntington (1927-2008) ان هناك نزاعات قائمة على خصومات متعلقة بالهوية، ويؤكد ان سقوط الاتحاد السوفياتي هو نهاية تاريخ، وليس نهاية التاريخ، والعولمة ليست مرادفا للسلام، بل العكس لانها تقيم تماسا بين مختلف اجزاء الارض، وستضعف مخاطر الاحتكاك وبالتالي النواعات فيما بين هذه الاجزاء.

صدام الحضارات .. الصراع جيواستراتيجي

Clash of Civilizations

صمويل هتينغتون

2008 /12/ 24 - 1927 /04/18

صدام الحضارات: اطلسية هتينغتون الجديدة

ان مغزى نظرية صامويل هتينغتون، استاذ العلوم السياسية ومدير معهد جون اولين للدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة هارفارد، والذي عبر عنه في مقالته "صدام الحضارات" (والتي اظهرت تلخيصا لمشروع جيوسياسي كبير بعنوان " التحولات في الامن الكوني والمصالح القومية الأمريكية ينتهي الى ما يلي:

الانتصار الجيواستراتيجي الظاهري للأطلسية على كوكب الارض بأسره،- فمع انهيار الاتحاد السوفياتي زال اخر حصن للقوى القارية – لا يلمس من الناحية الواقعية الا القشرة السطحية للواقع، ان النجاح الاستراتيجي للنااتو والمتراق مع الصياغة الايديولوجية الشيوعية المنافسة – لا يمس الطبقات الحضارية العميقة، ويرى هتينغتون - خلافا لفوكوياما- ان الانتصار الاستراتيجي ليس انتصارا حضاريا، فالإيديولوجيات الغربية الليبرالية الديمقراطية، السوق وما الى ذلك، أصبحت بلا بدائل ولفترة مؤقتة فقط، وقريبا سترشح لدى الشعوب غير الغربية خصائص حضارية وجيوسياسية من مثل " الشخصية الجغرافية " التي تحدث عنها سافيتسكي.¹

كما نشر هتينغتون دراسة في مجلة الشؤون الخارجية في صيف عام 1993، شكلا معدلا لمقولة (تهديد الجنوب للشمال) او (التهديد الاسلامي للغرب)²، التي كانت بدورها شكلا معدلا من مقولة (شرق-غرب) و (شمال-جنوب). و اعلن هتينغتون في هذه الدراسة ان الصراعات

¹- الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص158.

² - Samuel P. Huntington : The Clash of Civilizations, Foreign Affairs, The Council on Foreign Relations, New York, U.S, Summer 1993, Vol. 72, No. 3, P2.

الحضارية هي خليفة الحرب الباردة، و لكنها ستكون اخر مراحل تطور الصراعات في العالم المعاصر، و ان عالم ما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي سوف يكون عالما من المراكز الحضارية المتصارعة " صراع الناب و المخلب"، و عليه فان على متخذي القرار في الغرب الانتباه الى هذه " الحقيقة" في صنع سياستهم الخارجية المقبلة وفقا لشعار عام هو: (الغرب و البقية The west and the Rest)¹، فالصراعات حسب رأي هتنتغتون قد قامت في الغرب بين الامراء والملوك و الاباطرة بعد معاهدة واستفاليا، و بين الامم والقوميات بعد الثورة الفرنسية، و بين الاديولوجيات الشيوعية والاشتراكية الوطنية (النازية) و الديمقراطية الليبرالية في القرن العشرين، وبينما كانت الحربان العالميتان حربين "اهليتين أوريبتين فان المواجهة اليوم هي مواجهة بين الحضارات.

يقسم هتنتغتون العالم الى ثمانى ساحات حضارية (وكل ساحة هي ذات تموضع جغرافي، الامر الذي يدخل هذه النظرية في الجيوبوليتيكا)، فهو يرى انه الى جانب الحضارة الغربية (الاطلسية) التي تشتمل على حضارة امريكا الشمالية و اوروبا الغربية، وضع الترشيح الجيواستراتيجي لحضارات سبع اخرى وهي:²

- 1- الحضارة السلافية - الارتودوكسية.
- 2- الحضارة اليبانية.
- 3- الحضارة الاسلامية.
- 4- الحضارة الكنفوشيسوسية.
- 5- الحضارة الهندوسية.
- 6- حضارة امريكا اللاتينية.
- 7- الحضارة الافريقية.

يؤكد هتنتغتون من هذه التقسيمات ان السؤال المطروح في حالة الصراعات الاديولوجية السابقة هو: مع اي طرف أنت؟، اما في صراع الحضارات فان السؤال المطروح هو: من تكون انت؟، وفي اعتقاده ان المحور الرئيس المتعامل في المستقبل على الصعيد العالمي سيكون متمثلا في المواجهة بين الغرب و بقية العالم و ما لدى هذا الاخير من اجابات على قوة الغرب و قيمه، و ان هناك ترابطا عسكريا (كنفوشيسوسي - اسلامي) في طريقه للتكون ويتضمن مسعى لامتلاك

¹ - Ibid, P 11.

² - Samuel P. Huntington : Op.Cit, P3.

التكنولوجيا العسكرية لموازنة علاقات القوة مع الغرب، لذلك هو يدعو الى تقوية التعاون في العالم الغربي ولاسيما اوروبا الغربية وامريكا الشمالية ومده ليشمل ايضا اوروبا الشرقية(السلافية الارتودوكسية) وامريكا اللاتينية للحد من توسع الفكر الاسلامي-الكنفوشيوسي¹.

ومن الطبيعي ان هذه الحضارات المحتملة ليست متكافئة الطاقة، إلا انها تتلاقى في كون خط تطورها وتكونها يتخذ مسارا يختلف عن محرك الاطلسية وحضارة الغرب، وهكذا يجد الغرب نفسه في وضعية المواجهة من جديد، ويرى هتينغتون ان ذلك امرا لا مندوحة منه من الناحية العلمية، وانه يجب - وبغض النظر عن الاوساط المعولة - الانطلاق اساسا في المعادلة الواقعية "The West and The Rest" "الغرب و الباقي/الاخرون".

والاستنتاجات الجيواستراتيجية من مثل هذه النظرية جلية لعيان، فهتنتون يرى ان على الاطلسيين ان يدعموا بكل السبل المواقع الاستراتيجية لحضارتهم الخاصة بهم، ان يستعدوا للمواجهة وان ينسقوا قواهم الاستراتيجية لحضارتهم الخاصة بهم، ان يستعدوا للمواجهة وان ينسقوا قواهم الاستراتيجية وان يبطلوا الميول المناوئة للاطلسية في التشكيلات الجيواستراتيجية الاخرى، وان يحولوا دون توحدها في حلف قاري يشكل خطرا على الغرب، وهو يقدم النصائح التالية:²

- ضمان قيام التعاون الاكثر اتساقا وتوحدا في اطار الحضارة الذاتية، وبخاصة التعاون الاوروبي والامريكي الشمالي.
- ان تتكامل في الحضارة الغربية، تلك التي المجتمعات القائمة في اوروبا الشرقية وامريكا اللاتينية، التي تتقارب ثقافتها مع الثقافة الغربية.
- تأمين العلاقات الاكثر اتساقا مع اليابان وروسيا.
- الحيلولة دون تحول النزاعات المحلية بين الحضارات الى حروب كونية.
- الحد من التطور العسكري للدول الكنفوشيوسية والاسلامية.

¹ - Ibid, P15.

² - الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص161.

- وقف انكماش القوة الحربية الغربية وضمن التفوق العسكري في الشرق الاقصى وفي جنوب غرب اسيا.
- استغلال المصاعب والنزاعات في العلاقات المتبادلة بين الدول الاسلامية والكنفوشوسية.
- دعم المجموعات الغربية التوجه و القيم و المصالح ضمن حضارات اخرى.
- دعم المؤسسات العالمية التي تعكس المصالح الغربية وتضفي عليها الشرعية في تحقيق اجتذاب الدول غير الغربية الى هذه المؤسسات.

في هذه الصيغة الموجزة لنظرية الاطلسية الجديدة، و من وجهة النظر الجيواستراتيجية المحض، تعكس الاقتفاء الدقيق لمبادئ ماهان وسبيكمان، ويلاحظ في هذا التشديد الذي يفرضه هتينغتون على الثقافة و الفروق الحضارية على انها العوالم الجيواستراتيجية الالهة انما يشير الى انتمائه للمدرسة الجيواستراتيجية الكلاسيكية المتطلعة الى فلسفة " العضوية"، التي كان من اولى خصائصها النظر الى البنى الاجتماعية والدول لا كتكوينات الية او ايدولوجية، بل ك " صيغ للحياة".

ويشير هتينغتون الى ان الصين و الدول الاسلامية (العراق، ايران، ليبيا وما اليها) على انها الاعداء الاكثر احتمالا للغرب، وينعكس في هذا التأثير المباشر لمبادئ ماينغ وكريك اللذين راي ان توجهات دول "المناطق الشاطئية" "Rimland" بالذات - اشد اهمية من موقف ال Heartland، ولهذا ولخلاف للمثلين الاخرين للاطلسية الجديدة يرى هتينغتون ان الخطر الاكبر كامن لا في الانبعاث الجيواستراتيجي لروسيا-الاوراسيا لقلب العالم او اي تشكل قاري اوراسي جديد، ففي التقرير للامريكي بول ولفوفتس (مستشار الامن القومي) يوجه الحديث لحكومة الولايات المتحدة الامريكية في مارس 1992 حول " ضرورة الحيلولة دون ظهور قوة استراتيجية في القارة الاوروبية او الاسيوية يمكنها ان تقف في وجه الولايات المتحدة الامريكية".¹

وراي ان كل حضارة محكومة بدولة نواة او اكثر، وهو يمنح الدول -النوى دورا مركزيا في الاستقرار الدولي، ويرى هتينغتون ان الهيمنة الغربية ستتلاشى بسبب النقص الديموغرافي في السكان الاصليين و تدفق المهاجرين، واقتصاديا ستزول الهيمنة مع اليقضة الاسيوية، وستكون الحضارة الصينية هي المؤهلة لتحدي الغرب، وستحصل على التأثير، ثم ان الحضارة الغربية،

¹- الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص162.

وكل الايديولوجيات ذات المصدر الغربي، تتراجع امام الاسلام، و الحضارة الاسلامية تنشر اللااستقرار. " فالاسلام له حدود دموية¹، و الصدام الاسلامي-الغربي سيكون الاعنف، ولكن لن يكون الوحيد، فالاسلام ستكون علاقته نزاعية مع كل الحضارات باستثناء الصينية، فالاثنتان ستقيمان جبهة مشتركة ضد الغرب، حسب المحور الباكيستاني-الايرواني-الصيني.

في الجانب الاخر لهذه الأطروحة تبرر حقائق الجغرافيا السياسية المعاصرة اليوم مفهوم صراع الهويات المستندة لا على بناءات نظرية بل على ملاحظة الصراعات الحقيقية التي تستخلص منها النتائج العامة حيث تصبح الهوية الجماعية لجماعة بشرية ما هي الشيء الثابت الوحيد في مواجهة افرازات الحداثة المدمرة والمفككة لنسيج المجتمع لأي حضارة لا تمتلك وسائل الرد والمواجهة، فضلا عن البؤس الاقتصادي والضعف السياسي، فإذا احست جماعة بشرية ما بان هويتها مهددة بشكل قد يؤدي الى زوالها فستكون هنا قاعدة صراع الهويات الذي يستند في اغلب الاحيان الى الخوف من الزوال، فولادة صراع الثقافات و الهويات تصاحبها افكار يملؤها القلق والخوف من التصفية، لان الافراد لا يشعرون بفقدان الارض فقط بل مهددون بفقدان حقهم في العيش كجماعة لها خصوصيتها.

ان صراع الثقافات والهويات ليس صراعا متعلقا بالأرض او سلطة او مصادر ثروة، بل هو اولا وقبل كل شيء مضمونه ومصدره الادراك الجماعي لتهديد ي طال الوجود ويهدد استمرار الحياة.

¹ - Samuel P. Huntington : Op.Cit, P8.

العولمة

Globalizatio

ظهر مصطلح " العولمة " قبل مدة طويلة من الانتصار النهائي للغرب في الحرب الباردة، ويؤدي مفهوم العولمة الى تسويد المسئلة القائلة بحتمية التكامل الكوني التام، و الانتقال من تعددية الدول والشعوب و القوميات و الثقافات، الى وحدة العالم "One World".

يمكن التماس متابعة منابع هذه الفكرة في بعض الحركات الطوبائية العائدة الى القرون الوسطى ثم الى عهود موعلة في القدم، ويثوي في اساسها التصور القائل بانه في لحظة من لحظات الذروة في التاريخ يجري تجميع كافة شعوب الارض في مملكة واحدة لا تعرف بعد ذلك التناقضات ولا الماسي ولا النزاعات او المشاكل، كما وجدت صيغها العقلانية التي يمكن عد من بينها تعاليم الحقبة الثالثة لفيلسوف الوضعية اوغست كونت.

كانت الافكار العولمية مميزة بالنسبة للاشتراكيين الاوروبيين في الغالب، وبخاصة الانجليز منهم (وقد اتحد بعضهم في الجمعية الفابيانية*)، كما تحدث الشيعة عيون ايضا عن الدولة العالمية الموحدة، ولقد امتلكت الولايات المتحدة منذ اواسط القرن العشرين قدرا من كل مقومات القوة والنفوذ يفوق ما تمتلكه منفردة اي دولة رأسمالية ليبرالية اخرى من تلك المقومات، الامر الذي اتاح لها الفرصة للعب دور اساسي في انتصار الليبرالية الرأسمالية على الشيوعية الاشتراكية وكسر النظام القطبي، كما اهلها للتضلع لقيادة العالم كله، واذ أدركت مراكز التخطيط الاستراتيجي الامريكية من جهة اهمية هذه التحولات الكبرى الجارية في العالم وضرورة استغلالها لانتصار وانتشار النظام الليبرالي الرأسمالي،

* لم تكن انجلترا مع نهاية القرن 19 تحتضن حركات اشتراكية متطرفة في برامجها بالرغم من شعور الكثرة بضرورة إحداث التغيير الاجتماعي، إلا أن المؤمنين بأفكار كارل ماركس K.Marx كانوا قلة، واليساريين، ولاسيما من الطبقة الوسطى المتعلمة، كانوا يطمحون إلى شيء مغاير، أقل عدائية من أفكار ماركس في حال تطبيقها، فوجدوا ما ييغونه إيديولوجياً في «الجمعية الفابية» (ويلفظها بعضهم الفابيانية) Fabian Society التي أسسها في أكتوبر عام 1883 إدِيث نِسْبِت Edith Nesbit وهيوبرت بلاند Hubert Bland اللذان كوّنا مجموعة حوار اشتراكي مع إدوارد پيز Edward Pease. وكان فرانك بودمور Frank Podmore هو الذي منح الجمعية اسمها الفعلي عام 1884، الذي استعاره من اسم القائد العسكري الروماني فابيوس مكسيموس Fabius Maximus، الذي اشتهر بلقب المترث Cunctator لتجنبه المعركة المباشرة والحاسمة ضد حنابعل Hannabal، مفضلاً الهجمات الصغيرة والسريعة، محققاً بذلك الانتصار البطيء/المضمون، بدلاً من الهزيمة السريعة الحتمية، فكان هذا الأسلوب التكتيكي رمزاً لعملية تفكير أعضاء الجمعية، الذين اصرروا على أن الديمقراطية الاجتماعية لن تتحقق بالثورة والعنف، حسب تنظيرات ماركس، وإنما بالتحرك الديمقراطي البطيء والمستمر.

وقد تم التداول خلال العقود الاخيرة من القرن العشرين الكثير من المفاهيم الجديدة مثل: القرية العالمية وعالمية الاتصالات والشرعية الدولية وموت الايدولوجيا وكونية السوق ونهاية التاريخ... الخ¹، مكنت لتبني تلك الافكار كسلاح فتاك متعدد الواجه و الأبعاد وجعلتها برنامج عملها الذي عرضه الرئيس الامريكي الاسبق جورج بوش الاب امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 01 اكتوبر 1990، و اعلن زعامة الولايات المتحدة للعالم ونظامه الجديد ومسؤوليتها الكاملة على اقامته واللجوء الى القوة ل حمايته، و عمل على تحديد طبيعته وخصائصه ووضع حجر الاساس لبنائه، من حيث انه: " عالم مختلف.. ذا حدود مفتوحة، تجارة مفتوحة، و عقول مفتوحة"،

وبقدر ما احدثت طبيعة هذا النظام و خصائصه الاساسية سلفا بفعل الاحداث التي وقعت في الخليج و اوربا الشرقية، كما جددت الادارة الامريكية اللاحقة على لسان رئيسها بيل كلينتون التأكيد على زعامة الولايات المتحدة للعالم ونظامه الجديد ومسؤوليتها عنه، و بذلك استعاد العقل الاستراتيجي الامريكي المعاصر الفكرة الغربية التقليدية القديمة عن مسؤوليتها العالمية الشاملة للدولة العظمى والتي سبقها فيه العقل الاستراتيجي الروماني القديم الى طرحها واستخدامها ... "انها تتحمل وحدها من الان فصاعدا مسؤولية الحضارة والدفاع عنها".

وليس قدم العولمة وأسبقيتها الزمنية ما يرجى اثباته فحسب، بل محاولة اثبات قدم المسعى الامريكي للتحكم في نشاطات العولمة والسيطرة على العالم من خلال اليات العولمة الخطيرة التي هي من جوهر المنظور الليبرالي الرأسمالي وتجسيد اسسها ومبادئها من خلالها في كل مجالات الحياة، ومن ثم وطبعها بالطابع الأمريكي ولعل خير دليل على ذلك هو الملاحظة التي ابداهها المفكر الالماني المعروف " ماكس فيبر" 1919 في محاضراته " حرفة العالم ودعوته" التي يقول فيها : " ان التطور الراهن للنظام الجامعي الالماني يأخذ اتجاه النظام الأمريكي ثم يضيف لتوضيح هذه الملاحظة وتوسيع نطاقها: " ان الجامعة الالمانية (تتأمر) من وجوه عديدة مثل بقية قطاعات حياتنا". كما لا ننسى هنا (مشروع مارشال) لإعادة اعمار اوربا بعد الحرب العالمية

¹ - عامر حسن: المدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر - الجزء الثاني، دار السهري القانونية والعلوم السياسية، العراق، 2018، ص 43.

الثانية نجح في تحقيق هذا الهدف بقدر ما نجح ايضا في اصفاء الطابع الامريكي في الجانب الاقتصادي في الحياة الأوروبية.

فالعولمة الى هنا، تعني من الناحية العملية ومنذ انتهاء الحرب الباردة نشر مبادئ وافكار الليبرالية الرأسمالية على الطريقة الانجلوأمريكية في العالم، وذلك من خلال عولمة الثقافة والمقدسات العالمية ومسحها ومن ثم استبدالها بالثقافة الليبرالية الانجلوأمريكية ومن ثم تجسيد الهيمنة الأمريكية وهذا ما اكده الباحث فرنسيس فوكوياما في كتابه " نهاية التاريخ" الذي يعلن فيه انتصار الليبرالية رأسماليا اقتصاديا والديمقراطية سياسيا، كما يمكن جمع بعض الآراء القائلة¹:

- 1- ان العولمة في مرحلتها المعاصرة تقوم على القدرة المزدوجة الثقافية والاقتصادية على التأثير في حياة الآخرين دون الحاجة الى احتلالهم عسكريا كما كان يحدث في السابق.
- 2- ان العولمة في مرحلتها المعاصرة ليس مجرد الية من اليات التطور التلقائي للنظام الرأسمالي الليبرالي بل تعني توجيه العالم لتبني النموذج الفكري الأمريكي الليبرالي.
- 3- ان تنفيذ سياسات العولمة في مرحلتها المعاصرة تتم باستخدام الثقافة الأمريكية وقيمها واساليبها في الحياة أكثر مما يتم باستخدام الوسائل العسكرية التي أدرك العقل الليبرالي انها باتت تقليدية¹.
- 4- انتشار المعلومات وسرعة انتقالها بين الناس دون قيد او شرط وزيادة سرعة الابتكارات في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.
- 5- سيطرة النمط الثقافي الليبرالي و الايديولوجي و التأثير على انماط الاستهلاك و الاعلام والترفيه.
- 6- تحويل ادوار الدولة ووظائفها من دولة ذات سيادة الى دولة حارسة و ثم الى دولة خاصة يحكمها نخبة من الاشخاص. (تقليص و تهميش و الغاء معنى الدولة).
- 7- زيادة نسبة معدلات التماثل والتشابه بين الجماعات والمجتمعات.
- 8- توسيع لمساحات نشاطات الاسواق المالية والمستثمرين الدوليين والشركات المتعددة الجنسيات ومن ثم زيادة توسع الليبرالية ونفوذها الرأسمالي وحجم مصالحها الكونية.

¹ - Francis Fukuyama, Op.Cit, P 39.

كما ان التطبيق الجيوسياس الامريكي للعولمة محكوم بالقدرة على مجموعة من الاليات التي تستهدف تاكل الدولة وتفتيتها¹، كمنع اية دولة او مجموعة من الدول من استخدام قواها لتغيير النظام الدولي الراهن ونشاطاته والعمل على التقوية المستمرة للثقل الرأسمالي في ميزان القوة والعمل على توسيع المجال الجغرافي لتدخل الشراكات العابرة فوق القومية ليشمل كافة أرجاء الكون، فضلا عن خصخصة المؤسسات العمومية الحكومية وخاصة منها ذات الطابع الحساس (كالمؤسسات الامنية) والاستراتيجي (مؤسسات التي تهتم بالثروات الوطنية) ومسح اوجه سيادة الدولة الوطنية، ناهيك عن السعي الى تعديل البرامج التعليمية بمقررات ومناهج تعمل على توجيه العقول الى قبول مبادئ الليبرالية.

صحيح ان تنفيذ هذه الاليات لسياسات العولمة من اجل تجسيد الفكر الجيواستراتيجي الليبرالي الرأسمالي اعتمادا على الوسائل الثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها ..لا يعني بأي حال من الاحوال امكانية استخدامها لوسائل القسر والارغام المتنوعة المتاحة لها لتنفيذ تلك السياسات كما ينص على ذلك الفكر الليبرالي فالواقع اقر ذلك باستخدام القوة في العديد من بلدان العالم (العراق، الصومال، افغانستان...و ليبيا وسوريا حاليا)، لكن الاكثر من ذلك، فالملاحظ الدارس لجوهر الفكر الليبرالي يستطيع فهم مقدمات العولمة ونتائجها التي لن تؤدي الى تهميش الاغلبية في العالم النامي فحسب، بل انها ستؤدي ايضا الى تهميش هذه الاغلبية حتى في العالم المتقدم لصالح فئة محدودة من اصحاب رؤوس الاموال والخبرات العلمية والتقنية المتطورة.

كما ترادفت من قبل ايضا دلالات وغايات مفاهيم العالمية والعولمة والنظام العالمي مع دلالات وغايات مفاهيم اخرى مثل: " السلام الروماني" ومن بعده "السلام البريطاني" التي كانت تشير الى الانتشار العالمي للسيطرة العسكرية، السياسية، الاقتصادية والثقافية لهاتين الامبراطوريتين على اوسع رقعة يمكنها السيطرة عليهما من العالم.

¹- سمير عبد الرحمن شلالده: الليبرالية الجديدة في العالم العربي، رسالة مجستير منشورة، جامعة بيروت، فلسطين، 2008، ص28.

اما مصطلح النظام العالمي الجديد السابق في النشأة والتداول على مصطلح العولمة والمرادف المعاصر له في المعنى والدلالة، فيعود تاريخ ظهوره الى وقت مبكر من القرن العشرين

عندما تحدث رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل عقب الحرب العالمية الاولى عن النظام العالمي الجديد الناشئ عن انتصار الحلفاء والهيمنة الانجلوسكسونية، ثم اعاد الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت هذا المصطلح الى التداول بعد ان استخدمه عام 1941 ليفسربه ويبرر اشتراك بلاده في الحرب العالمية الثانية معتبرا ان انتصار الولايات المتحدة وحلفائها في الحرب سيؤدي الى قيام نظام عالمي جديد يكون جنة يتحرر فيها الناس من الفقر والجهل والمرض والظلم السياسي والاجتماعي¹.

وفي سبعينيات القرن العشرين اعاد وزير الخارجية الامريكي هنري كسنجر استخدام المصطلح للإشارة الى النظام العالمي الناشئ عن تحول العلاقة بين القطبين الامريكي والسوفييتي من مرحلة الحرب الباردة الى مرحلة التعايش و الوفاق، ولم تكن الاوساط الاكاديمية الغربية بعيدة عن فكرة النظام العالمي الجديد، حيث استخدمتها لأسباب واهداف متنوعة، كما فعل الامريكي " روبرت باك" في دراسة له بعنوان " الرمزية والتنشئة الاجتماعية" عام 1939، اعتبر فيها ان مضمون التنشئة الاجتماعية التقدمية للعالم يتجسد في ادماج سكان الارض في اقتصاد عالمي يضع اساسا سياسيا و اخلاقيا جديدا شاملا للحياة الإنسانية كما استخدمها فرنسيس فوكوياما في دراسته الشهيرة " نهاية التاريخ" عام 1989 التي اطلق فيها نظريته عن تحول النظام الرأسمالي الليبرالي الغربي الى نظام عالمي بحكم حتمية انتشاره وتطبيقه في كل المجتمعات الإنسانية مصورا اياها بالنصر غير المشروط لليبرالية السياسية والاقتصادية التي باتت شكل من اشكال ادارة المجتمعات البشرية، من منطلق اعتقاده بحتمية الانتصار الكامل والنهائي للنظام الديمقراطي الليبرالي الغربي وانتشاره عالميا طوعا او كرها، عاجلا او آجلا وصولا الى تحقيق مفهوم "الدولة العامة المتجانسة"² التي اقتبسها من المفكر الايطالي انطونيو غرامشي.

يمكن الزعم بان العولمة هي المفهوم الدال على العمليات المعاصرة للانتشار العالمي لمكونات النظام الرأسمالي الليبرالي ونشاطاته بأساليب سلمية/ذكية غير مباشرة ووسائل ثقافية واقتصادية

¹ - William Jannace & Paul Tiffany: A New World Order: The Rule of Law, or the Law of Rulers?, Fordham International Law Journal, The Berkeley Electronic Press Volume 42, Issue 5, New York, 2019, p1381.

² - Francis Fukuyama: Op.Cit, P199.

في اواخر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين، وتتجسد العولمة بمعناها هذا اقتصاديا في التسارع والتكاثف المفرطين في معدلات التركيز الاحتكاري لرأس المال وتحرير التجارة من القيود و إلغاء الرقابة وخصخصة ما امكن من المؤسسات الحكومية، وتقنيا في التحسن الهائل في وسائل الاتصال وتبادل المعلومات مما قرب اجزاء العالم الى بعضها وزاد من تداخلها واندماجها وجعل الحدود بينها شفافة، فسهل بذلك انتقال الافكار والاموال والسلع وحسن بذلك التنميط الموحد لأساليب التفكير والتصرف، وسياسيا في احلال الشرعية الدولية محل السيادة الوطنية التي بدورها تقود الى مفهوم خصخصة الدولة " او الدولة التي تسودها الشركات الاجنبية الكبرى الخاصة"، ومن ثم فقد باتت مفاهيم العولمة والنظام العالمي الجديد ونهاية التاريخ تشترك في التعبير عن معنى واحد وهو انتصار النظام الليبرالي الرأسمالي.

- بعض المصطلحات الجيواستراتيجية:

التيلوروكراتيا والتلاسوكراتيا (سلطة البر و سلطة البحر):

القانون الاساسي للجيوبوليتيكا هو اقرار الثنائية المنعكسة في التكوين الجغرافي لكوكب الارض وفي المنطقة التاريخية للحضارة¹، وهذه الثنائية تعبر عن نفسها في مواجهة التيلوروكراتيا (القوة البرية) والتلاسوكراتيا (القوة البحرية)، وطابع هذه المواجهة يقضي الى المواجهة بين الحضارة التجارية (قرطاج، اثينا)، والحضارة ذات الهيبة العسكرية (روما، اسبرطا).

التيلوروكراتيا "سلطة البر":

ترتبط التيلوروكراتيا بثبوتية المكان و رسوخ توجهاته و خصائصه النوعية، اما على المستوى الحضاري فيتجسد ذلك في الاستقرار في الروح المحافظة على المعايير الحقوقية الصارمة، التجمعات البشرية الكبرى، الأسر القبائل، الشعوب، الدول، الامم و الإمبراطوريات، فرسوخ اليابسة يتجسد ثقافيا في رسوخ الاخلاق و ثبوتية التقاليد الاجتماعية، و من خصائص هذه الشعوب الروح الجماعية.

¹- الكسندر دوغين: المرجع نفسه، ص60.

كلمة يونانية تعني "السيطرة عن طريق البر" أو "القوة البرية" ويعتبر خاصية أساسية من خصائص الدول الكبرى ذات التوجه الجيوبوليتيكي على اليابسة. ويعتقد أصحاب هذا المصطلح أن للأرض "اليابسة" علاقة قوية بقوة ومكانة الدولة، فالمساحة الكبيرة والموارد التي تتيحها المساحة تلعب دورا هاما في نشأة وتدعيم القوى السياسية، ومثل هذه المساحات الكبيرة لا توجد إلا في الدول القارية ذات الامتدادات الضخمة.

بناء على ذلك يعتقد هؤلاء أن السيطرة على البركفيل ببسط السيطرة العالمية، حيث يدلنا التاريخ على أن معظم الإمبراطوريات التي عرفتها البشرية في الماضي كانت إمبراطوريات برية، قد نشأت وتطورت وارتقت لمجرد سيطرتها على مساحات كبيرة من سطح الأرض -في اليابس- من أمثلة هذه الإمبراطوريات الإمبراطورية الرومانية والصينية والروسية.

إلا أن مصطلح التيلوكراتيا مرتبط حديثا بمصطلح الأوراسية، حيث أصبح يعبر تاريخيا عن القطاع الشرقي من الحضارة الإنسانية، واستراتيجيا عن الحلف الفاعل أو الحلف المحتمل للدولة والأمم التي ترفض الإيديولوجية الليبرالية -الديمقراطية- واجتماعيا يعبر عن السير على هدى "الإيديوكراتيا أي سلطة الأفكار، المثل والمبادئ" الدولة الاجتماعية والبناء الاقتصادي غير الرأسمالي.

التالاسوكراتيا:

(سلطة البحر)، تمثل نمطا لحضارة تقوم على اسس مغايرة، فهو نمط ديناميكي نشيط للحركة، ميال للتطور التقني ومن اولوياته التنقل وبخاصة البحري التجاري، وكذلك روح المبادرة الفردية، والفرد فيها كالجاء اكثر حركية في المجموع، ومن هذا النمط الحضاري يتطور بحيوية وبسهولة، كما يبدل مظاهره الثقافية "الخارجية"، فلا تبقى ثابتة إلا التشابه الضمني مع التركيبة العامة.¹

هي كلمة يونانية تعني "السلطة عن طرق البحر" أو "القوة البحرية" وهي من الخصائص الجيوبوليتيكية الأساسية للدول أو الأمم التي هيمنت على الملاحة البحرية.

¹ - الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص 62.

ويرى أنصار هذا المفهوم أن للقوى البحرية أفضلية تمكنها من السيطرة العالمية، وأقدم هؤلاء الجيوبوليتيكيون هو الأميرال ألفرد ماهان وحينما يكتب ماهان عن القوة البحرية فإنه يعني القوة العسكرية التي يمكن نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب، دون أن يعني مجرد الأسطول البحري، ومن ثم فإن التحكم في البحار يعني لديه التحكم في القواعد البرية التي تتميز بالمواقع الإستراتيجية المتحكمة في النقل البحري، والقواعد البحرية التي تحميها أشكال السواحل من جهة، وعمق خلفيتها الأرضية من جهة ثانية.

لقد تزايد الاهتمام بالقوة البحرية بعد أن تحولت البحار من الغموض والظلمات -التي خيمت فوقها لعصور طويلة- إلى طرق ومسالك معروفة ومألوفة في الشرق والغرب، وأصبحت الحركة في البحار تحكم كثيرا من الاعتبارات السياسية والاقتصادية، وأضافت أبعادا كثيرة لبعض القوى البحرية التي تغيرت بسبب معرفتها بالبحار أو قدرتها على الحركة فيها، فغيرت أبعاد البناء السياسي لهذه القوى.

لقد كانت بريطانيا المثال التاريخي الأبرز في هذا الإطار، حيث مكنتها موقعها الجغرافي من السيطرة على خطوط الملاحة من وإلى شمال أوروبا، وقد كان لها أسطول حربي ضخم يتعذر على الدول القارية في أوروبا أن تنشئ مثله، ذلك مكنتها في الوقت نفسه من حصار موانئ القارة الأوروبية وقت الضرورة ولكي تدافع به عن الجزر البريطانية، كما أن أي دولة في أوروبا كانت غير قادرة على إعداد جيش بحري للدفاع عن أراضيها بسبب موقعها البري، ولذلك نالت إنجلترا أوسع فرصة، فكانت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس فيما وراء البحار بسبب قوتها البحرية. وقد أصبحت الو.م.أ الوريث الشرعي للقوة البريطانية بعد أفول هذه الأخيرة.

وفي مرحلة الحرب الباردة وما بعدها أصبحت التلاسلوكراتيا مرادفا لمصطلح الأطلسية، وقد صارت تعبر عن مصطلح جيوبوليتيكي معقد، يجمع في داخله تاريخيا القطاع الغربي من الحضارة الإنسانية، أما استراتيجيا فيعبر عن إتحاد البلدان الغربية التي تسيطر فيها الإيديولوجية الليبرالية -الديمقراطية- وعسكريا يعبر عن الدول المشاركة في حلف الناتو، أما اجتماعا فيشير إلى التوجه نحو النظام التجاري وقيم السوق أي أن نموذج الو.م.أ المناوئ للأوراسية.

الايروكراتيا و الاثيروكراتيا:

بالإضافة الى " اليابسة و البحر" على الجيواستراتيجية العملية ان تضع في الحسبان عفويتين تاليتين – هما الجو و الاثير (المدى الكوني). و على المستوى العسكري يقابل هاتين العفويتين السلاح النووي (الجو) و برنامج "حرب النجوم" (الكون)، وبالتشابه مع التيليروكراتيا (سلطة البر) و التالاسوكراتيا (سلطة البحر)، يمكن لهذين النظامين الجيواستراتيجيين الاكثر حداثة ان يسميا بـ"الايروكراتيا (سلطة الجو) والاثيروكراتيا (سلطة الاثير)".¹

الجيواستراتيجية الاطلسية التقليدية التي تجعل القوة البحرية في مركز تصوراتها هي " جيواستراتيجية البحر"، والاستراتيجية الشاملة القائمة على اساس هذه الاستراتيجية ادت بالغرب الى بناء القوة العالمية، إلا ان تطوير التقنية ادى الى غزو المدى الجوي وهو ما جعل التعامل مع جيواستراتيجية الفضاء امرا حيويا.

وخلافا "لجيواستراتيجية البحر" فان "جيواستراتيجية الفضاء" الايروكراتيا (سلطة الجو) والاثيروكراتيا (سلطة الاثير)، المدروسة المكتملة الصياغة غير موجودة، فعامل الملاحه الفضائية يضاف الى اللوحة الجيواستراتيجية العامة، بيد ان عددا من الخلافات المتبادلة ازاء تفعيل الوسط الفضائي وما يرتبط به من انماط التسلح الجديدة (الطيران الاستراتيجي، الصواريخ، الاسلحة الذرية العابرة للقارات) قد تبدل بصورة ملموسة.²

الايروكراتيا والاثيروكراتيا كلمتان ذات اصل يوناني، وتعني الاولى "السلطة عن طريق الجو"، والثانية تعني: "السلطة عن طريق الطبقات ما فوق الأثير"، وتقوم على الإستراتيجية المعتمدة على تطويع المدى الجوي-الفضائي واستخدامه في أهداف التوسع الجيوبوليتيكي.

يربط أصحاب هذا المصطلح بين السيطرة على الجو وتحقيق السيطرة العالمية، حيث توقع هؤلاء أن القوة الجوية بإمكانها تحقيق السيطرة على منطقة القلب، وعلى الجزيرة العالمية، وسواحل الجزيرة العالمية على البحار بالإضافة إلى الجزر الواقعة عبر البحار وبالتالي تحقيق السيطرة العالمية، لذلك فعلى القوى الراغبة في بسط السيطرة العالمية أن تعمل على تطوير قواتها

¹- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص154.

²- الكسندر دوغين: مرجع سابق، ص155.

الجوية لاسيما سلاح الطيران. أما سلطة الفضاء أو الأثيروكراتيا وهي كذلك كلمة يونانية تعني: "السلطة عن طريق الطبقات ما فوق الأثير".

لقد كان غزو المدى الجوي أمرا حيويا، جعل الباحثين يتعاملون مع جيواستراتيجيا من نوع خاص، تسمى جيواستراتيجيا الفضاء، حيث ساوى غزو الفضاء إلى حد ما بين اليابسة والبحر، لأن الفارق بين هذين المجالين ليس كبيرا بالنسبة للطائرات والصواريخ، التي جعلت الأرض "أصغر حجما"، وكان نقل الأسلحة إلى المدار الأرضي والغزو الاستراتيجي للفضاء الخارجي المرحلة الأخيرة في تقليص الكوكب الأرضي، مما يعني أن العالم يصبح قبضة سهلة في يد القوة التي تملك السيطرة على الفضاء. فلقد ساوى غزو الفضاء إلى حد ما بين اليابسة والبحر، لأن الفارق بين هذين المجالين ليس كبيرا بالنسبة للطائرات والصواريخ. (كان اختراع حاملات الطائرات ذا أهمية خاصة لأنه قطع القواعد الجوية بصفة نهائية عن اليابسة وأنهى ارتباط هذه القواعد بطبيعة سطح الأرض).

وفضلا عن ذلك بدل تطور الطيران من نسب البعد الكوني، إذ جعل الأرض أصغر حجما إلى حد بعيد والمسافات أقصر كما أن صناعة الصواريخ وتطور الطيران الاستراتيجي جعلها من العوامل الجيوبوليتيكية التقليدية – الحدود البرية – والقواعد القارية الداخلية وسواها – أمرا نسبيا إلى حد بعيد. كان نقل الأسلحة إلى المدار الأرضي والغزو الاستراتيجي للفضاء الخارجي المرحلة الأخيرة في "تقليص" الكوكب الأرضي وإضفاء النسبية النهائية على الفروق في المسافات.

المحاضرة الثالثة عشر

جيواستراتيجية الاعلام – التحكم والاختراق

جيوسياسة الاعلام - التحكم والاختراق

في العالم المعاصر، أدت ثورة الاتصالات والتقدم التكنولوجي التقني الفائق إلى غياب الحدود الجغرافية بين الدول، حيث شهد هذا الزمن تطورا في تكنولوجيا الاتصال والأقمار الصناعية، الهواتف الخلوية والنقل التلفزيوني والناسخات الرقمية والأنترنت حيث الصوت والصورة تنقل بسرعة فائقة. ونتيجة لذلك اتجهت الجيوستراتيجيا للتغير نتيجة الحروب الإعلامية العالمية التي أصبحت لا تأخذ بعين الاعتبار الجغرافيا من منظور تقليدي، ومثل هذه التغييرات دفعت بالمفكرين والباحثين إلى دراسة تأثير هذا التوسع والاختراق غير المقيد على الأمن الوطني من خلال ظهور عدة نظريات سعت في مجملها لتوضيح مفهوم الأمن الوطني ولتفسير تأثير الإعلام عليه.

وقد سبق وان تم ذكر ان راتزل قد رأى بأن الدولة عليها أن تتوسع، حيث مجد الدولة الألمانية واعتبر الأرض والأمة الألمانية متفوقين على الأراضي والأمم الأخرى، لذلك يجب عليها أن تتوسع على حساب الكائنات العضوية الأخرى لكي تجد لنفسها مجالا حيويا للعيش والتقدم، ومن خلال هذه النظرة العضوية يتضح أن راتزل يفهم التطور الزاحف للدولة بأنه عملية طبيعية حية، شبيهة بنمو الكائنات الحية. (دوغين، 2004، صفحة 77)

وبناء على ذلك فإن توسع الدولة وتقلصها المكاني عمليتان طبيعيتان مرتبطتان بدورتهما الحياتية الداخلية، حيث حدد راتزل في كتابه "حول قوانين تطور الدولة في المجال" 1901 سبعة قوانين للتوسع: ويعتبر القانون الأول المتمثل في امتداد الدول يتسع وفقا لتطور ثقافتها، فكلما انتشر السكان ومعهم ثقافتهم الخاصة زادت رقعة الأرض الجديدة التي ينتشرون فيها في مساحة الدولة. حيث يعتبر القانون الأول الأكثر تأثيرا وبروزا وخدمة لفكرة التوسع وهو البعد الثقافي.

كما تعتبر كل من المدرستين الفكريتين الروسية والفرنسية من أبرز المدارس التي تناولت موضوع الاعلام في التحليل الجيوبوليتيكي.

من المنظور الروسي، نجد إيديولوجية دوغين المناهضة للغرب المناهضة لليبرالية، هي إيديولوجية تقليدية اجتماعيا، بالرغم من أن الفكر الروسي يتمحور حول الوحدة والأرض، إلا

أنها مرتبطة أيضا بالقوميات الأخرى لأوراسيا، حيث تدخلها ضمن المواجهة الثقافية والأيديولوجية المجابهة للأفكار والقيم.

يرى دي لابلاش أن الإنسان ليس عبدا لبيئته كما تنادي المدرسة الحتمية بل يختار من بين إمكانياتها ما يشاء تبعا لمستواه الحضاري ولذا فإن أنماط النشاط الاقتصادي على سطح الأرض هي نتائج لتفكير الإنسان ومجهوده

وحركته في إطار بيئته الطبيعية". (جودة وأبو عيانة، 1986، صفحة 340) ومن هنا يمكن فهم التوجه أو القناعة لتغير الأنماط الثقافية للشعوب المستعمرة، بناء على هذه الفكرة انطلاقا من الداخل إلى المحيط الخارجي وهذا ما بات الإعلام وسيلة لتجسيده اليوم بصورة عامة (إمكانية إعادة هندسة المجتمعات عن طريق الإعلام).

الميديا كراتيا عاملا جيوبوليتيكا

حدد إيف لاكوست مهمته في أن يعزز الجيوبوليتيكا بالمعايير الأكثر جدة والخاصة بمجتمع المعلومات. أما الأهمية الأعظم بين النظم المعلوماتية التي تترك أثرها على العمليات الجيوبوليتيكية فتتملكها وسائل الإعلام الجماهيرية، والتلفزيون من بينها بشكل خاص. وفي العالم المعاصر تسيطر لا الطريقة البنيوية - العقلانية بل ألق «الشخصية» (الإيميج). فالنظرات السياسية والأيديولوجية والجيوبوليتيكية تصاغ لدى جزء كبير من المجتمع، وبطريقة استثنائية، على أساس برامج البث التلفزيوني و«الصورة الشخصية الوسطية تمثل التركيب الذري الذي تتركز فيه دفعة واحدة عدة رؤى - الإثنية، الثقافية، الأيديولوجية والسياسية، والنوعية التركيبية للإيميج» تقربه من تلك الخصائص التي تعتمد عليها الجيوبوليتيكا بطريقة تقليدية.

وعلى الربورتاج الإعلامي، المبتوث من نقطة حارة، مجهولة تماما بالنسبة الساكن الكابيتول مثلا، أن يقدم في فترة بالغة القصر الصورة الجغرافية التاريخية والدينية والاقتصادية - الثقافية والإثنية للمنطقة، كما عليه أن يوزع نقاط تركيزه وفقا للهدف السياسي المعطى بشكل محدد وبناء

على هذا تقترب وظيفة الصحفي وبخاصة الصحفي التلفزيوني من وظيفة الجيوبوليتيكي، فوسائل الإعلام لا تلعب في المجتمع المعاصر ذلك الدور المساعد الذي كان لها في السابق، بل تغدو

العامل الجيوبوليتيكي المستقل الأوفر قوة والقادر على ترك تأثير قوي على المصائر التاريخية للشعوب. (دوغين، 2004، صفحة 176)

الهوية والمجتمع والأمن المجتمعي:

يعتبر الأمن المجتمعي واحد من بين أهم عناصر برنامج البحث في الدراسات الأمنية المعاصرة، فقد تجاوز الرؤى التقليدية التي تعتبر المجتمع مجرد قطاع تابع لأمن الدولة باعتباره كيانا مستقلا بذاته وموضوعا مرجعيا للأمن، فالمجتمع ليس المقصود به بنيته أو تنظيمه بقدر ما تركز الاهتمام حول هويته، حيث أصبح التركيز في الدراسات الأمنية على فهم ثنائي للأمن يمزج بين أمن الدولة الذي يدور حول السيادة والأمن المجتمعي المتعلق بالهوية، فالبقاء بالنسبة لأي دولة يختصر في حمايتها لسيادتها وتماسك مجتمعها وثقافتها وقيمها التي هي عرضة للتأثر، في حين يكمن بقاء المجتمع في حماية هويته بالأساس وهذا ما يتم العمل عليه. (بوستي، 2019، الصفحات 16، 17).

يرى "ويندت" (البنائية) أن للهوية والثقافة والأفكار دور مهما في فهم وتحليل ظواهر السياسة الدولية بشكل عام. ويرى أيضا أن الهويات تشير إلى من "نحن" ومن "هم الآخرون"، وإن المصالح تشير إلى "ماذا يفعلون"، فالمصالح تعني الحاجات والرغبات التي تسعى الدول إلى تحقيقها.

من جانب آخر يرى "رايوند هانيبوش"² بأن النظرية البنائية هي الأمثل لتفسير الصراعات والعلاقات البيئية التي تجري في منطقة الشرق الأوسط، وذلك لأن هذه الدول مازالت تمر بمرحلة بناء الدولة ومرحلة بناء الهوية الوطنية، وهي تعاني من أزمة هوية وأزمة اندماج وتكامل وطني، وهذا ما يعكس بالضرورة ان تكون الدولة مفرطة في تعزيز أمنها المجتمعي و ضعف إرادتها في تكريس التنشئة الثقافية، الاجتماعية والسياسية عبر مؤسساتها الرسمية و غير الرسمية و التي على رأسها الإعلام بمختلف وسائله، ما أنتج إمكانية الاختراق الثقافي للمجتمع وقد يحدث بذلك تحولات أمنية خطيرة قد تؤدي إلى تفكيك المجتمع، وتحويل ولائه إما لنماذج الدولة أو تركه بدون

مصدر

هوياتي وثقافي ثابت. وذلك بفعل عملية تأسيسها من قبل الاستعمار الفرنسي والبريطاني الذي قام بتفكيك وتنقسم هذه المنطقة وترسيم حدودها دون مراعاة الهويات العرقية والدينية والثقافات المحلية وخصوصية هذه المنطقة. (عرنوس، 2019، صفحة 04)

مجالات التنسيق والتعاون بين الأجهزة الأمنية والأجهزة الإعلامية

يتأثر أمن المجتمع بما تعرضه أجهزة الإعلام من مواد إعلامية، فهو قادر على جعل المواطن يشعر بالأمن والأمان وفي نفس الوقت له القدرة على إحداث تأثير سلبي قد يؤدي لتقليل أهمية الأجهزة الأمنية وزعزعة الثقة في قدرة الأجهزة الأمنية على تحقيق أهدافها والتأثير عليها داخليا وخارجيا حيث تصبح غير قادرة على المواجهة. (اللحام، الشمايلة، وكافي، 2015، صفحة 136، 173)

تسعى مؤسسات الدولة للحفاظ على الاستقرار الأمني وحماية المجتمع من مختلف الأبعاد التي تهدد تماسكه ووحدته، ولتحقيق هذا الهدف وجب توحيد الجهود والتنسيق الكامل بين مختلف مؤسسات الدولة، ويعتبر الإعلام الأمني من شرائح الإعلام المهمة في المجتمع والتي يستلزم عليها تأدية مهامها الحساسة بكل دقة ومصداقية، فالتنسيق بين الأجهزة الأمنية ووسائل الإعلام من الأولويات المساعدة في حماية المجتمع من أي اختراقات خارجية. (عجوة، 2002، صفحة 19)

أصبحت وسائل الإعلام أداة مهمة في فن الحكم في العصر الحديث. إنها "السلطة الرابعة" التي تساعد الدولة على تعزيز مصالحها وأهدافها وغاياتها. منذ فجر ثورة المعلومات واستخدام وسائل الإعلام "لتحقيق أهداف الحرب بوسائل أخرى"، أصبح الإعلام عنصرا مهما في صنع / بناء الرأي، وخلق الأبطال والأشرار، وخلق الوحوش والأعداء.

لقد أثرت التغييرات التي يشهدها العالم بفعل ضغط العولمة على بنية المجتمعات وتركيباتها واستقرارها، وأصبحت التكنولوجيات بمثابة المصدر الذي ينهل منه الصغار والكبار أفكارهم ومعلوماتهم، وأصبحت تشغل الحيز الأكبر من أوقاتهم وعوضت بذلك أدوار مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالمدرسة والأسرة، وبهذا أصبح الإعلام يمارس أحد أهم الأدوار الاجتماعية والمتمثلة في عملية التنشئة الاجتماعية. (مدفوني، 2019، صفحة 244)

إن التدفق الحر للمعلومات لا يعدو أن يكون سوى وسيلة لتدعيم الصمت لدى أغلبية الأسر التي تلجأ للبرامج الرياضية والترفيهية والتي تعتبر كصورة من صور تزييف الوعي بالواقع

عوض تحفيزهم على فهم الواقع فهم صحيحا والعمل على تغييره نحو الأفضل. (كامل محمد وشكر، 2011، صفحة 9)

تعتبر عولمة الإعلام من السمات الرئيسية لهذا العصر تسعى للتوسع الثقافي بإلغاء خصوصية الشعوب والأفراد وإذابة قيمهم المكتسبة بتقديم مضمون متشابه في مناطق جغرافية مختلفة، والسعي نحو القفز فوق الحدود الثقافية والسياسية للتقليل من مشاعر الانتماء لثقافة محددة، هذا وأصبحت تستخدم في توسيع نطاق النمط الرأسمالي الليبرالي على المستوى العالمي والتسويق له من خلال المضامين المقدمة في وسائل الإعلام بمختلف مجالاتها، (بوفدح بديسي، 2018، صفحة 485) وهذا ما صرح به المفكر الألماني "فريدريك راتزل" في قوانين التوسع السبعة التي جاء بها، حيث جاء في قانونه الأول بأن الدولة تتوسع بتوسع ثقافتها، فكلما انتشر السكان ومعهم ثقافتهم كلما زادت رقعة الأرض التي ينتشرون فيها في مساحة دولتهم، ومن هنا تتجلى خطورة العولمة الإعلامية التي تسعى الدولة المتحكمة فيها للسيطرة الثقافية من أجل السيطرة على العالم و التوسع على حساب باقي الدول .

تشير العولمة الإعلامية لوحدة المضمون الإعلامي، وهذا ما يتيح تعددا وتنوعا وجماهيرية أكثر، كما انها تعمل على تآكل الحدود التقليدية للدولة، على اعتبار أنها تسعى لنشر العولمة والتقليل من أهمية الهوية وروح الانتماء للوطن الأم، فالمتحكمون في العولمة يسعون لصياغة ثقافة كونية تغطي كل جوانب النشاط الإنساني بهدف خلق الإنسان العالمي المبرمج الذي يؤمن بإيديولوجية السوق العالمية ذو أفكار موحدة الإنتاج. (كامل محمد وشكر، 2011، صفحة 7,6)

خطورة العولمة الإعلامية:

يتجلى خطر العولمة الإعلامية على الأمن المجتمعي الوطني من خلال ما يلي :

- ذوبان سيادة الإعلام الوطني ومنه سيادة الدولة في ظل تفعيل المفاهيم الجيوبوليتيكية الحديثة، كالسيادة على الفضاء والحدود وصنع السياسات الإعلامية وظهور تقسيم جديد للعالم.
- اعتماد دول النامية بشكل اساسي على المضامين الإخبارية والحوارية والإعلانات وبرامج الدراما الغربية، وهذا ما يؤدي للغزو الإعلامي لدول المركز المتحكمة في العولمة.

- تدفق لثقافات غريبة عن دول الأطراف بلا حاجز ولا ضابط في إطار التنافس التجاري بين الشركات المتعددة الجنسيات.
 - تقزيم الإنجازات الإيجابية والتركيز على المظاهر السلبية بإعطاء قراءة متحيزة للأحداث والوقائع، وهذا ما نلاحظه من خلال المواد الإعلامية التي تركز على ظواهر القتل والاعتصاب والمخدرات والعلاقات الحميمة بين الرجال والنساء.
 - خلق حالة من الاغتراب الثقافي بسبب تباين الثقافات خاصة عبر تلقي مضامين العنف والرعب والإباحية. (بوفدح بديسي، 2018، صفحة 486، 487)
 - الترويج لثقافة الاستهلاك الذي تنتجه الرأسمالية الغربية الأمريكية من أفكار وملابس ومأكولات ومشروبات.
 - إشاعة ثقافة الإباحية وغيرها من المنتجات الممنوعة وما ينتج عنها من إباحة للمنكرات وفساد في المجتمع ومحاولة تبسيط فكرة تحليل المحرمات والممنوعات في قوالب علمية محكمة التركيب كالأفلام المدبلجة وغيرها.
 - محاولة التلميح وتلطيف ما هو قبيح باستعمال عبارات ملطفة وغير مباشرة، كوصف القدس الشرقية بأنها متنازع عليها بدلا من اعتبارها محتلة من الكيان الصهيوني، ووصف محاولات تحريف الدين الإسلامي بعملية التجديد الديني. (رفيق، 2007، صفحة 10)
 - تغيير عدة مفاهيم من الفكر الإسلامي، كالسعي نحو المساواة بين الجنسين في الميراث.
 - إحداث تغييرات سياسية واقتصادية تتوافق مع القيم الديمقراطية والرأسمالية.
 - السعي نحو تشويه سمعة رموز الأمة حتى لا يقتدي بهم أحد من أفراد المجتمع، وإغفال تراجم وسير القيادات والشخصيات البارزة في المجتمع. (بن عطية الله، 2013، صفحة 87)
- يقول مالك بن نبي: "إن الاستعمار لا يتصرف في طاقنا الاجتماعية إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة، يصيب بها من يشاء، فنحن لا نتصور إلى أي حد يحتال لكي يجعل منا أبواقا يتحدث فيها، وأقلاما يكتب بها، أنه يسخرنا وأقلامنا لأغراضه، يسخرنا له، بعلمه، وجهلنا. والحق أننا لم ندرس بعد الاستعمار دراسة علمية، كما درستنا هو، حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية، من حيث نشعر أو لا نشعر..." (1986، صفحة 155)

إن أثر الاستعمار-الجيواستراتيجي- الغربي يظهر جليا من حيث كيفية تأثيره على المجتمع خاصة من ناحية الأفكار التي يتم تسويقها من خلال الاعلام خاصة وأنها حرب من نوع آخر، حيث يعمل على توجيه ضربات قوية في صلب ثقافة المجتمع، وهذا راجع لسهولة اختراق المجتمع حيث لا يمتلك أي قوى رادعة تصد الفكر الغربي، ومع تشبع الفرد الجزائري بهذه الثقافة الغربية.

لقد أبرز الأستاذ في جامعة هارفارد، جوزيف ناي، ظهور وأهمية جانب القوة الناعمة، مؤكدا أن مفهوم القوة كان سريع التغير في السياسة العالمية والعلاقات الدولية. لقد عرف القوة الناعمة بأنها القدرة على الحصول على النتيجة التي يريدها المرء عن طريق الجذب والإقناع بدلا من الإكراه، ظهر المفهوم نفسه مع تطور تكنولوجيا المعلومات والنظرية النيوليبرالية والعولمة في العلاقات الدولية والتواصل المتشابك بشدة كأداة مثالية، وجادل بأن مظاهر القوة لا تكمن في الموارد الدنيوية ولكن في القدرة على تغيير سلوك الدول والشعوب.

الأدوار الجديدة لتكنولوجيات الإعلام والاتصال:

لقد أحدث تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال تغييرات كبيرة نتيجة تطبيقاته الواسعة ومن مظاهر انتشار الصناعة وتوسع المدن على حساب الريف، ما أدى لظهور نمط حياة اجتماعي حضري عوض النمط الريفي، وهذا ما تفرع عنه عدة تغييرات منها خروج المرأة للعمل لتتغير وظيفتها و تضيف وظيفة ثانية إضافة للمكوث في البيت والقيام بالواجبات المنزلية وهذا من السعي الإعلامي الحثيث الموجه للمرأة، وهذا ما أحدث تغييرات عميقة في النظام الأسري و أدى لحدوث العديد من المشاكل وارتفاع نسبة الطلاق بين الأزواج مرجع، (أعراب ، 2006، صفحة 24)، إضافة لقضية التعدد التي أضحت الإعلام يطبع في أذهان النسوة بأنه تخلف ورجعية وأن المرأة التي تقبل بالتعدد لا كرامة لها في بيت زوجها.

تحديات التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال:

لقد فرضت التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال والمعلومات عدة تحديات قد تتسم بالخطورة ومن أهم هاته التحديات:

- التحديات التقنية: ويتمثل في ان هاته التقنيات يمكن استخدامها واستغلالها في تنظيم المجموعات الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية.

- التحدي البشري ونقص الكفاءات: حيث يكون هناك نقص كبير على مستوى القيادة والتقنية بسبب نقص التأهيل وهجرة العقول مما يجعل من التعامل مع هاته التقنيات الجديدة امر صعبا ويشكل تحديا كبيرا، وفي بعض الأحيان تصبح كثرة يستغلها العدو للاختراق وتحقيق مصالح و أجندات ذات أبعاد متنوعة.
 - التحدي الثقافي: فالتهديدات الأمنية في عصر العولمة تتطلب وجود تحصين أمني ومشاركة اجتماعية لتكوين ثقافة نابذة للعنف، (أعراب ، 2006، صفحة 24) وتقي المجتمع من الاختراق الثقافي والفكري وتحفظ له قيمه ومعتقداته.
 - التهديد باستغلال المعلومات الحساسة والسرية والملكية الفكرية : فسرقه المعلومات والجرائم الفضائية تؤثر سلبا على الأفراد كسرقة بطاقاتهم الائتمانية، وتؤثر ايضا على المؤسسات كتسريب معلومات حساسة وسرية.
 - التهديد باستغلال المعلومات لأغراض سياسية أو اقتصادية أو عسكرية.
 - التهديد بتدمير المعلومات او مكونات البناء المعلوماتي التحتي باستعمال التجسس والفيروسات مثلا، وهذا ما قد يهدد الاقتصاد والامن الوطني ويؤثر عليهما.
 - التهديد عن بعد : ميزة التهديدات الأمنية الجديدة أنها قابلة للتخطيط والتنظيم والتنفيذ عن بعد وبأنها تهديدات عابرة للقارات، إضافة لسهولة تخفي الفاعلين وانخفاض تكاليفها المادية مقابل النتائج المرضية التي قد تصل إليها.
 - التهديدات المتعلقة ببنية المعلومات الحساسة : كالاتصالات والبنوك والمال والطاقة الكهربائية ومصادر المياه وخدمات الطوارئ والخدمات الحكومية وغيرها. (جدو، 2017، صفحة 25)
- تستعمل الحكومات الغربية وسائل الإعلام خطط جيواستراتيجية في الترويج لرؤاها السياسية والإيديولوجية، تستهدف تشويه الأفكار والإيديولوجيات المعارضة، خاصة في البلدان التي يسيطر فيها اللوبي اليهودي الموالي للكيان الصهيوني على وسائل الإعلام، والملاحظ ان الحملة الدعائية تكون موجهة بشكل خاص للدول الإسلامية تطبيقات لعملية المواجهة الإعلامية لما يعرف بصدام الحضارات. (ملي، 2010، صفحة 460)

التأثير الثقافي لوسائل الإعلام في المجتمع:

يتجه العالم الى النمط الثقافي الأحادي في ظل استراتيجية نشر وتكريس العولمة بجميع ابعادها، حيث تعمل القوى المسيطرة على وسائل التوغل المرن (الاعلامي وشبكات المعلوماتية) على جعل القيم

موحدة بين سكان العالم، في المأكل والملبس والعلاقات الأسرية وفي كل ما يتعلق بحياتهم، إن ظهور هذا النوع من القيم يرجع الى قوة الاختراق المعلوماتي والسيطرة الاعلامية، اضافة الى لضعف منظومة القيم التقليدية لدى الاطراف المتلقية، كونها عاجزة عن مقاومة تأثير العولمة وأيضا بسبب ضعف انتقال القيم من الأجيال القديمة للأجيال الجديدة عبر المؤسسات التي تعنى بالتنشئة الاجتماعية والثقافية، وكذلك بروز الجفاف العلائقي الذي غيب عدة قيم مهمة في المجتمعات الإسلامية كصلة الرحم وبر الوالدين وكل ما يمد بالعائلة.. (فرناني، 2019، صفحة 277، 278)

الهوية الثقافية هي القدر الثابت والمشارك من السمات العامة التي تميز حضارة الامة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية طابعا يميزها عن الشخصيات الأخرى، فهي الحلقة الأساسية التي تربط الإنسان بفضائه الجغرافي، ومن خلال هذا الشرح نستطيع القول ان العولمة هي نقيض للهوية الثقافية الوطنية، لأنها تسعى لسلخ قيم الفرد التي اكتسبها من المجتمع الذي ينتمي إليه وجعل العالم قرية صغيرة بدون حدود (البكري، 2009، صفحة 379)، كما تعد الإنترنت من الوسائل الاتصالية الاجتماعية التي تقدم أحزمة ثقافية عابرة للحدود، وبهذا فهي لا تساهم في التطبيع الاجتماعي للفرد في محيطه القريب، ولا تساهم في الاستفادة من الثقافة المحلية ولا في تنمية حس الانتماء بين أفراد المجتمع الواحد الذين تربطهم صفات مشتركة كالقيم والثقافة واللغة وغيرها، بل تقوده لأفكار أخرى خارجة عن مجتمعه، هنا يصبح الفرد غريبا عن مجتمعه فاقدًا لهويته ومعتقداته (آيت عيسى، 2016، صفحة 75)، ومنه يمكن تحقيق تفوق جيواستراتيجي على الطرف الاضعف.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية:

- 1- ابي عبد الله محمد بن محمد بن ادریس: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، المجلد الاول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- 2- ألكسندر دوغين: اسس الجيوبوليتيكا-مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تر. عماد حاتم، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2004.
- 3- السلامة سليمان محمد امين: الايتيمولوجيا وتاصيل المفردات في اللغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية جامعة تبوك، السعودية، 2015
- 4- النذير عبد الله ثاني محمد: ايتيمولوجيا علوم الاعلام والاتصال، دار الاديب، وهران، 2017.
- 5- ايمانويل وولرسين : تحليل النظم الدولية، تر. اكرم علي حمدان، مركز الجزيرة للدراسات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2015.
- 6- ضياء عبد المحسن محمد: الجغرافيا البوليتيكية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص34.
- 7- عامر حسن: المدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر - الجزء 2، دار السهري القانونية والع السياسية، العراق، 2018.
- 8- سمير عبد الرحمن شلالده: الليبرالية الجديدة في العالم العربي، رسالة مجستير منشورة، جامعة بيروت، فلسطين، 2008.
- 9- قاسم الجواري : العناصر الاساسية للخارطة عند الشريف الادريسي، مجلة التربية و العلم، المجلد 19، ع5، العراق، 2012.
- 10- محمد ابراهيم الديب: الجغرافيا السياسية (اسس وتطبيقات)، القاهرة، 1984.
- 11- محمد رياض: الاصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
- 12- هارون على احمد: الجغرافيا السياسية المعاصرة دراسة الجغرافيا والعلاقات الدولية، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1998.

مراجع باللغة الاجنبية:

Dictionary ;

13- dictionary.com/dictionary/german-english/raum

Books :

- 14- **Bowman Isaiah: Political Geography of Power**, *Geographical Review*, vol.32, n°2, avril 1942.
- 15- **Carl Wesley Pagles : To the mountaintop and back again : the rise and fall of General George B. McClellan**, University of Louisville, USA, 1977.
- 16- **Chapman, Bert: Geopolitics : A Guide to the Issues**, "Nicholas J. Spykman, 1893-1943", in Bert Chapman 'ed, New York, Praeger, 2011.
- 17- **Francis Fukuyama: The End of History and the Last Man**, The National Interest, A Division of Macmillan, New York, 1992.
- 18- **F. Zwicky and A. G. Wilson (eds.): New Methods of Thought and Procedure. Contributions to the Symposium on Methodologies**, May 22-24, 1967, Pasadena. New York: Springer-Verlag, 1967.
- 19- **Gaelle GROGNET : Medias : Faut-Il un Cinquieme Pouvoir ?**, L'Universite Lavavl, Quebec, 2004.
- 20- **Gerry Kearns : Imperial Geopolitics**, *Geopolitical Visions at the Dawn of the American Century*, Katharyne Mitchell, Gerard Toal eds., A Companion to Political Geography, Oxford: Blackwell, 2003.
- 21- **Gilles Saint-Paul : Economic Science and Political Influence**, *Journal of the European Economic Association*, Volume 11, Issue 5, 1 October 2013.
- 22- **Guilherme Ribeiro : Question Regional, Identite National et Emergence du mond urbain-industriel, La modernite dans l'œuvre de Paul Vidal de La Balach**, Armand Colin, Annales de géographie, France, 2014.
- 23- **Ioannis TH.MAZIS : Geopolitics Academic Dissertations (1983-2008)**, *Methodology for Systematic Geopolitical Analysis According to the Lakatosian model*, Vol1(2), Athens, Greece, 2016.
- 24- **Jon Pierre and B. Guy Peters: Governance, Politics and the State, Political Analysis**, Colin Hay, Red Globe Press, USA, 2019.
- 25- **Karl Haushofer: Why Geopolitik?**, in Gerard Toal, Simon Dalby, Paul Routledge, (eds.), *The Geopolitics Reader*, London: Routledge, 1998.
- 26- **Longman Dictionary of Contemporary English : Essex : Longman**, 1987.
- 27- **Lisa Wedeen : Reflections on Ethnographic Work in Political Science**, *Annual Review of Political Science*, University of Chicago, 2010.
- 28- **Marleen Buizer & Others : Landscape Approaches: A State of the Art Review**, *Annual Review of Environment and Resources*, University of Groningen, the Netherlands, 2017.
- 29- **Mark BASSIN : Imperialism and the nation state in Friedrich Ratzel's Political Geography**, Department of Geography, University of Wisconsin, USA, Vol1, 1987.
- 30- **Miguel Angel Ballesteros Martin : Method for the analysis of geopolitical regions (MARG)**, *Journal of the spanish Institute for Strategic Studies*, Spain, 2015.
- 31- **Michael P. Gerace : Between Mackinder and Spykman: Geopolitics, containment and after**, *Comparative Strategy an International Journal*, Routledge, Vol 10, Issue 4, 1991.

- 32- **Milan Vego: *Naval Classical Thinkers and Operational Art***, The United States Naval War College, 2009.
- 33- **Nicholas J. Danby: *The Roots of Roosevelt's Navalism***, *Naval History Magazine*, U.S. Naval Institute, February, vol 35, 2021.
- 34- **Ola Tunander: *Swedish-German geopolitics for a new century*** Rudolf Kjellén's '*The State as a Living Organism*', Review of International Studies Association, 2001.
- 35- **Ribeiro Guilherme: *Mimsis and Human Geography in Paul Vidal De La Blach's Method***, Mercator - Revista de Geografia da UFC, Universidade Federal do Ceará, Brasil, vol. 19, no. 3, 2020.
- 36- **Rosenboim Or : *Geopolitics and empire: visions of regional world order in the 1940s. Modern Intellectual History***, University of London Institutional Repository, 2015.
- 37- **Rodrigo Rodrigues-Silveira : *The Politics of Demography Censuses as resources for political analysis***, Salamanca University, Spain, 2014.
- 38- **Roger E. Kasperson & Julian V. Minghi : *The Structure of Political Geography***, Routledge, 1st Edition, 2011.
- 39- **Samuel P. Huntington : *The Clash of Civilizations***, Foreign Affairs, The Council on Foreign Relations, New York, U.S, Summer, 1993.
- 40- **Silviu Costachie : *Ratzel and the German Geopolitical School -The Inception of Culture as essential element and factor in the political Geography***, revista Romana de Geografie Politica, no2, University of Bucharest, 2010.
- 41- **Semra Ran Gokmen: *Geopolitics and the study of International Relations***, Doctorat thesis, Middleast Technical University, 2010.
- 42- **vidal de lablache : (préface de Isabelle Lefort) *Principes de Géographie Humaine***, ENS Éditions, France, 2015.
- 43- **Wickham Steed: *From Frederic the Great to Hitler: The Consistency of German Aims***, International Affairs, Vol. 17, No. 5, 1938.
- 44- **William Jannace & Paul Tiffany: *A New World Order: The Rule of Law, or the Law of Rulers?***, Fordham International Law Journal, The Berkeley Electronic Press Volume 42, Issue 5, New York, 2019.
- 45- **Yves Lacoste: *Géopolitique de la Méditerranée***, Edition Armond Colin, France, 2006, p20.
- 46- **Yves Lacoste: *La géographie, La Géopolitique et le Raisonnement Géographique***, Hérodote revue, La Découverte, france, 2012, p14.